حقيقة التدين بين المعاني والمباني

التوحيد

أخطاء يقع فيها بعض الحجاج والمعتمرين

الحج

السنة النبوية ودورها في صياغة الروابط الاجتماعية

دور القيم والأخلاق في بناء الحضارات

تاريخ مشروعية الحج

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦١٢ السنة الثانية والخمسون - ذو القعدة ١٤٤٤ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

السلام عليكم

تعظيم الأشهر الحُرُم

أظلنا شهر عظيم هو أول الأشهر الحُرم، وهو شهر ذي القعدة، والأشهر الحُرُم أشْهُر عظّمها الله تعالى في كتابه، فقال: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ » (التوبة: ٣٦).

وقد سُميت الأشهر الحُرم بهذا الاسم؛ لزيادة حرمتها، وعِظَم الذنب فيها، وسُمي ذو القعدة بهذا الاسم؛ لأن العرب كانت تقعد فيه عن القتال، فلا تقاتل، وقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع ثلاث عمرات، كلهن في شهر ذي القعدة، وهي عمرته في العام السادس للهجرة من الحديبية، وعمرة القضية في العام السابع من الهجرة، وعمرته من الجعرانة في العام الثامن من الهجرة بعد تقسيم الغنائم.

فَحَريّ بالمسلم أن يُعظِّم ما عظّمه الله تعالى.

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد
د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

مطابع التجارية

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

نماذج من دعوات الأنبياء: د. عبد الله شاكر ٣
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
حقيقة التدين بين المعاني والمباني:
د. مرزوق محمد مرزوق ٨
الحج المبرور: الشيخ عبده أحمد الأقرع ١٢
الدعوة على منهاج النبوة:
الشيخ معاوية محمد هيكل ١٧
هجرة زينب بنت رسول الله: د. سيد عبد العال ٢١
تاريخ مشروعية الحج: د. محمد عبد العزيز ٢٤
أنواع الطلاق وعدد النساء:
المستشار أحمد السيد علي ٢٨
السنة النبوية ودورها في صياغة الروابط الاجتماعية:
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
لا كرب وأنت رب: الشيخ صلاح عبد الخالق ٤٢
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٤٦
دراسات قرآنية: الشيخ مصطفى البصراتي ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية:
الشيخ علي حشيش ٥٣
لمن سرت شركياتهم في الأمة كالنار في الهشيم:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
أخطاء يقع فيها بعض الحجاج والمعتمرين:
د. حمدي طه ٦١
من صور الاعتداء على الدين: د. عبد القادر فاروق ٦٤
تفسير الصحابة للقرآن:
د. محمد عاطف التاجوري ٦٧
دور القيم والأخلاق في بناء الحضارات:
د. صالح بن حُميد ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الالكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر ١٢ ريال ، عمان ١ ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار ، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

نماذج من دعوات الأنبياء والمرسلين

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله مجيب الدعوات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد تكلمت فيما مضى عن مكانة الدعاء، وبينت أنه حق خالص لرب العباد، وفي هذا اللقاء أذكر بعض النماذج عن دعوات الأنبياء والمرسلين وأنهم كانوا يتوجهون بدعائهم إلى رب العالمين، فأقول وبالله التوفيق:

إن الناظر في سير الأنبياء والمرسلين يجد أنهم مع مكانتهم وقدرهم عند رب العالمين كانوا لا يتوجهون بالدعاء إلا إلى خالقهم ومرسلهم رب العالمين، وكانوا جميعًا يدعون أقوامهم إلى ذلك، وإليكم طرفًا من الحديث حول هذا الموضوع، وأبدأ الكلام بذكر آدم عليه السلام، وآدم أول من حمل رسالة الله إلى الخلق، وقد خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته، وتفضل عليه بأن أسكنه جنته، وأمره الله بأمر ولكنه عصى فيه ربه، فماذا فعل؟ إن آدم عليه السلام لم يجد بابًا سوى باب ربه ومولاه، فرجع إليه، ولاذ بحماه، وسأله وحده دون سواه، وقال هو وزوجه حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، وهذا اعتراف منهما بالذنب وسؤال ربهما العفو والمغفرة.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره للآية: (وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة). (تفسير ابن جرير، ج٨/١٠٧).

وقد تفضل الله عليهما بقبول التوبة، كما قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧).

وهذا نوح عليه السلام بعثه الله إلى قومه، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وكان يدعوهم إلى الله وإلى عبادته وحده دون سواه، فكذبوه ولم يستجيبوا لدعوته، فلم يجد نوحًا إلا ربه ومولاه فلجأ إليه ودعاه وحده دون سواه، فاستجاب الله له ونجاه من القوم الظالمين، وفي ذلك يقول الله تعالى:

« وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ » (الأنبياء: ٧٦- ٧٧). كما أخبرنا القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى أرسل إلى عاد هودًا عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادة غير الله وبيّن لهم فساد عبادة ما سواه، كما أمرهم بالتوبة والاستغفار، وأن ذلك من أسباب الخير العميم لهم وزيادة في قوتهم، ولكنهم كذبوه وتولوا عنه مجرمين، وقالوا له كما ذكر القرآن عنهم: « قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ » (هود: ٥٣- ٥٥).

ولما قالوا له ذلك، أخبرهم هود عليه السلام أنه متوكل في أمره كله على الله، وهو خالقهم جميعًا وبيده مقاليد أمورهم ونواصي جميع المخلوقين تحت قهره وسلطانه، وأعلن لهم ذلك إعلامًا لهم أن المتصرف في الكون وحده هو الله، فقال كما ذكر القرآن الكريم عنه: « إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (هود: ٥٦).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: "وقوله: (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أي: تحدى قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه فإنه على صراط مستقيم وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه). (تفسير ابن كثير، ج٢/٦٠٨).

وهذا شعيب عليه السلام أرسله الله إلى قبيلة مدين فأمرهم بعبادة الله وحده، وكانوا مع شركهم يبخسون المكيال والميزان، فنهاهم عن ذلك، ولكنهم كذبوه، وقالوا له كما ذكر القرآن الكريم عنهم: « قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ » (هود: ٩١)، فرد شعيب عليه السلام عليهم بما ذكر الله عنه: ثم جاء أمر الله بإهلاكهم، وهو وحده القادر على ذلك. قال تعالى: « وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ » (هود: ٩٤).

وفي قصة شعيب فوائد وعبر كثيرة منها: أن الكفار كما يخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك يخاطبون بشرائعه؛ لأن شعيبًا دعا قومه إلى التوحيد أولاً، ثم أمرهم بإيفاء المكيال والميزان، ومنها: أن نقص المكيال والميزان من كبائر الذنوب، ونخشى العقوبة العاجلة لمن تعاطى ذلك، ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، ومنها: أن الصلاة لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، ويجب تقديمها على سائر الأعمال.

وهذا يوسف عليه السلام لما أتم الله عليه نعمته، وذلك بتخليصه من المحن العظيمة وإعطائه الملك والعلم، توجه إلى ربه بهذا الدعاء قائلاً: « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » (يوسف: ١٠١). قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: (هذا دعاء من يوسف الصديق، دعاء به ربه لما تمت نعمة الله عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه

من النبوة والملك؛ سأل ربه عز وجل، كما أتم عليه نعمته في الدنيا، أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه، وأن يلحقه بالصالحين). (تفسير ابن كثير، ج٢/٦٦٢).

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام أعطاه الله الشيء الكثير وتفضل عليه، ثم ابتلاه في ماله وولده وجسده، فصبر على ذلك كله، حتى ضرب به المثل في الصبر، ولم يجد أيوب عليه السلام سوى ربه ومولاه يسأله ويدعوه، فاستجاب الله له وعافاه. قال تعالى: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٨٣) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ» (الأنبياء: ٨٣- ٨٤).

قال البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ» وذلك أنه قال له: «اركض برجلك» فركض برجله فنبعت عين ماء باردا، فأمره الله أن يغتسل منها ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فأمره أن يركض برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب منها، فذهب كل داء كان بباطنه- فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم. (تفسير البغوي، ج٢/٢٦٣).

كما ذكر الله عن نبي الله يونس عليه السلام أنه لما أغضبه قومه وكذبوه، توجه إلى ربه وناداه، فاستجاب الله دعاءه ونجاه. قال تعالى: «وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الأنبياء: ٨٧- ٨٨).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «فاستجبنا له ونجيناه من الغم» (أي، أخرجناه من بطن الحوت، وتلك الظلمات، «وكذلك ننجي المؤمنين» أي، إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء) (تفسير ابن كثير ج٣/٢٦٥).

وأختم الكلام هنا بسيد الأنبياء والمرسلين، الذي كان لا يفتر عن دعاء ربه ومولاه، وسيرته دالة على ذلك، وأذكر هنا نموذجا واحدا من ذلك، وهو ما حدث في غزوة بدر، وهي أول غزوة في الإسلام، وكان عدد المشركين أكثر من المؤمنين، وهنا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث بربه ومولاه ومعه الصحابة الكرام. قال الله عنهم: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال: ٩).

ويذكر لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فيقول: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين» فأمده الله بالملائكة. (مسلم ١٧٦٣).

والنماذج الدالة على ذلك كثيرة، وكلها تدل وتؤكد على أن الأنبياء والمرسلين كانوا يتوجهون إلى الله ويطلبون حاجتهم ممن يقول للشيء كن فيكون، وهو القائل سبحانه وتعالى: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم». أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا من الراعين له وحده دون سواه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سُورَةُ الرُّوم

سُورَةُ الرُّوم

سورة الروم

قال تعالى: « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ »

(سورة الروم: ٤٨ - ٥٣)

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آثار رحمة الله:

«اللهُ الذي يُرسلُ الرِّياح فتثيرُ سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاءُ ويجعله كسفًا فترى الودْقَ يخرُجُ من خلاله فإذا أصاب به من يشاءُ من عباده إذا هُم يستبشرون ٤٨ وإن كانوا من قبل أن يُنزل عليهم مِن قبله لمبلسين ٤٩»: هذا تفصيل المجمل في قوله تعالى: «ومن آياته أن يُرسل الرياح»، يقول سُبحانه: الله لا غيرُه، هو الذي يُرسل الرياح «فتثيرُ سحابًا»، أي: تبعثه وتحركه، فيبسط الله تعالى هذا السحاب في السماء كيف يشاء، ويمدُّه حيث يشاء، فيُغطي السماء وينزل المطر، وأحيانًا يجعل الله السحاب كسفًا أي قطعًا مُتفرقة غير مُتصلة، ثم ينزل المطر، وهي ظواهر مرئية مشهودة، « ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » (يس: ٣٨)، قال تعالى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » (النور: ٤٣، ٤٤).

ثم ذكر الله تعالى حال الناس بعد نزول المطر وحالهم قبله، فقال:

«فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ٤٨ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ٤٩»: لقد انقطع المطر، وطال الأمد، وانقطع الأمل، ثم فاجأهم الله تعالى بالغيث فإذا هم فرحون مسرورون، كما قال تعالى: « وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ » (الشورى: ٢٨).

«فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها»؟! كما قال تعالى: « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ » (فاطر: ٩). وقال تعالى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » (الحج: ٦٣)، وقال تعالى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ

ثمرات مختلفا ألوانها» (فاطر ٢٧)، وقال تعالى: «هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴿١٠﴾ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (النحل: ١٠، ١١)، وقال تعالى: «فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴿٢٤﴾ أنا صببنا الماء صبا ﴿٢٥﴾ ثم شققنا الأرض شقا ﴿٢٦﴾ فأنبتنا فيها حبا ﴿٢٧﴾ وعنبا وقضبا ﴿٢٨﴾ وزيتونا ونخلا ﴿٢٩﴾ وحدائق غلبا ﴿٣٠﴾ وفاكهة وأبا ﴿٣١﴾ متاعا لكم ولأنعامكم» (عبس: ٢٤-٣٢).

وهذه الآثار من دلائل التوحيد، وأنه لا إله إلا الله، ولذلك قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: «ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون» (العنكبوت: ٦٣). وقال تعالى: «أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون» (النمل: ٦٠).

فإذا كان الله تعالى هو المختص بإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، وجب أن يكون هو المختص بالعبادة، ولذلك قال تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿٢١﴾ الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون» (البقرة: ٢١، ٢٢).

كما أن تلك الآثار من دلائل القدرة على البعث بعد الموت، ولذلك قال تعالى: «فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ٥٠». وقد تكرر الاستدلال على إحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها في مواضع، منها قوله تعالى: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» (فاطر: ٩)، وقوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير» (فصلت: ٣٩)، وقال تعالى: «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿٥﴾ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴿٦﴾ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» (الحج: ٥-٧).

ولما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين، وعند ظهوره يكونون مستبشرين، بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها، بل لو أصاب زرعهم ريح مصفر لكفروا، فهم منقلبون غير ثابتين لنظرهم إلى الحال لا إلى المآل (التفسير الكبير ٢٥/١٣٥)، فقال تعالى: «ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ٥١»:

الضمير في قوله تعالى: «فرأوه» يصلح للعود على الريح، لأنها مؤنث غير حقيقي، فهو يذكر ويؤنث، كما تقول: هذا الطريق، وهذه الطريق، وهذا السوق، وهذه السوق، ويصلح للعود على الزرع الذي هو أثر من آثار رحمة الله، وعلى الأول يكون المعنى: «ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا» وتلك الريح لا تأتي بخير، «لظلوا من بعده يكفرون ٥١» نعمة الله التي أنعم بها عليهم من قبل، بسبب الرياح المبشرات، وعلى الثاني يكون المعنى: «ولئن أرسلنا ريحا» صرصرا عاتية، فأصابت زرعهم «فرأوه مصفرا»، قد جف ويبس، وهلك، «لظلوا من بعده يكفرون ٥١»، فهم بالرياح المبشرات يفرحون ولا يشكرون، وبالريح المصفر يكفرون ولا يصبرون.

وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الإفراط والتفريط ما لا يخفى، حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى في كل حال، ويلجؤوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر، ولا ييأسوا من روح الله تعالى، ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم برحمته، ولا يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه، فعكسوا الأمر، وأبوا ما يجديهم، وأتوا بما يرديهم (إرشاد العقل السليم ٥/١٨١). وتلك حال الكافر، أما المؤمن فشاكر

صابرٌ، إنْ أعطاهُ اللهُ شكر، وإن قدر عليه رزقه صبر، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمرهُ كله خيرٌ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إنْ أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له وإنْ أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له) (صحيح مسلم: ١٥٣).

إنك لا تهدي من أحببت:

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يضيق صدرًا بكفر الكافرين، وتكذيب المكذبين، بعد كل هذه الأدلة والبراهين، فقال الله له:

«فإنك لا تسمعُ الموتى ولا تسمعُ الصُمَّ الدعاء إذا ولّوا مُدبرين ٥٢ وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمعُ إلا من يؤمن بآياتنا فهم مُسلمون ٥٣».

الفاء فصيحة تدل على كلام مقدر، أي إن كبر عليك إعراضهم وساءك استرسالهم على الكفر فإنهم قوم أموات، وإنك لا تسمع الموتى (التحرير والتنوير ٢١/١٢٥).

وقد سمى الله تعالى الكافرين موتى في أكثر من آية، وسمى المؤمنين أحياء، قال تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ١٢٢).

والمعنى «أومن كان ميتًا» بالشرك والكفر، «فأحييناه» بالإيمان، «وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس» وهو نورُ الإيمان، كما قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى: ٥٢).

فالكفارُ أموات، والموتى لا يسمعُون، فهم لا يستجيبون لله والرسول، «إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (الأنعام: ٣٦).

«فإنك لا تُسمعُ الموتى ولا تُسمعُ الصُمَّ الدعاء إذا ولّوا مُدبرين ٥٢»، والأصمُ لا يسمعُ من قُرب، فكيف «إذا ولّوا مُدبرين ٥٢»؟!، «وما أنت بهاد العُمي عن ضلالتهم»، والمرادُ بالعمى عمى القلب، لا عمى العين، كما قال تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦)، فعمى العين لا يمنعُ من الإيمان إذا أراد الله بالعبد خيرًا، ولذلك آمن كثيرون ممن فقدوا أبصارهم، وفي مقدمتهم عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه.

ثم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: «إن تسمعُ إلا من يؤمن بآياتنا فهم مُسلمون ٥٣»، فالمؤمنون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

سرُ تعداد التشابيه في الآيتين:

إنّ تعداد التشابيه منظورٌ فيه إلى اختلاف أحوال طوائف المشركين فكان لكل فريق تشبيه:

فمنهم من غلب عليهم التوغل في الشرك، فلا يصدقون بما يخالفه، ولا يتأثرون بالقرآن والدعوة إلى الحق، فهؤلاء بمنزلة الأموات، أشباح بلا إدراك، وهؤلاء هم دهماؤهم وأغلبهم ولذلك ابتدئ بهم.

ومنهم من يعرض عن استماع القرآن، وهمُ الذين قالوا: «قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» (فصلت٥) وقالوا: «لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» (فصلت: ٢٦)، وهؤلاء هم ساداتهم، ومدبرو أمرهم، يخافون إنْ أصغوا إلى القرآن أنْ يملك مشاعرهم، فلذلك يتباعدون عنْ سماعه، ولهذا قيد الذي شبهوا به بوقت توليهم مدبرين إعراضًا عن الدعوة، فهو تشبيه تمثيل.

ومنهم من سلكوا مسلك ساداتهم، واقتفوا خطاهم، فانحرفت أفهامهم عن الصواب، فهم يسمعون القرآن ولا يستطيعون العمل به، وهؤلاء هم الذين اعتادوا متابعة أهوائهم، وهم الذين «قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ» (الزخرف: ٢٢).

ويحصل منْ جميع ذلك تشبيهُ جماعتهم بجماعة تجمع أمواتًا، وصمًا، وعميًا، فليس هذا من تعدد التشبه لمشبه واحد، كالذي في قوله تعالى: «أوكصيب من السماء» (البقرة: ١٩) (التحرير والتنوير ٢١/١٢٥).

وللحديث بقية إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين.

حقيقة التدين بين المعاني والمباني

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب الرئيس العام
والمشرف على المجلة

الحمد لله الذي من على عموم المسلمين بنفحات شهر رمضان، ومنَّ عليهم فيه بالصيام والذكر والصدقات والشكر والقرآن والغفران، وما تلاه من أيام شوال وذي القعدة، ويتلوهم في ذي الحجة من أيام الرحمن، والصلاة والسلام الأتمان على رحمة الله للأنام وآله والصحب الكرام، وبعد:

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن لم يدعْ قول الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس لله حاجةٌ أن يدع طعامه وشرابه".

العزو: رواه البخاري ٥/٢٢٥١ (٥٧١٠)، (١٨٠٤).

مفردات الحديث:

((قول الزور)): الكذب وقول الباطل.

((والعمل به)): يعني العمل بالباطل.

((والجهل)): السفه، سواء أكان سفهًا على النفس أو على الآخرين.

المعنى العام للحديث:

لم يكن الصيام قرارًا للحرمان أو لتعذيب بني الإنسان، كما زعم أهل الزيغ والهوى والطغيان وإنما للصيام مقصد أسمى كما قال تعالى واستوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

لذا قرر وعلمنا عليه الصلاة والسلام أن الإنسان إذا صام ولم يدع الزور-وهو قول الباطل والكذب- والعمل به: فليس لله حاجة في أن يمتنع عن الطعام والشراب وهو يقارف هذه الخطايا طالما لم يتحقق المقصد الذي هو في حقيقته سعادة للإنسان.

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: من فوائده الظاهرة مختصرًا:

هذا الحديثُ أصلٌ عظيم في بيان الحكمة من مشروعية الصيام، فإن الله تعالى لم يشرع الصيام لأجل الامتناع عن المباحات والطعام؛ وإنما شرع الصيام لحكمة عظيمة، ذكرها نبينا الصادق الأمين، وذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، وهي كما أسلفنا تقوى الله جل وعلا، وتقوى الله تعالى تكون باتباع شرعه وعبادته وطاعته، بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

> [illegible] [illegible] [illegible] نفوس البشر ركام كثيف من الشهوات الجامحة. والنزعات المغلوطة تأتلف جميعا لتصوغ عملها وتضع سلوكها فيما تشاء له من قوالب، ولتلونه بما تحب له من صبغة أو شهوة.

وفيه الزجر عن تعاطي فعل أهل السفه وقول الباطل والعمل به.

انه يتأكد على الصائم ترك الذنوب والمعاصي أكثر من غيره، وإلا لم يكن لصيامه معنًى؛ إذ قد خرج عن مقصده الأسمى الذي شرع له، وهو حال العبادات؛ فقد شرعت لصلاح الأفراد والمجتمعات.

إن الذنوب والمعاصي تؤثر في الصوم فتجرحه وتُضعف ثوابه وتنقصه. والصيام مدرسةٌ يتربى فيها المسلم على طاعة الله، فلا بد أن يتميز المسلم في صيامه بتقوى الله جل وعلا، فيترك ما اعتاده من التقصير في الواجبات، ويترك ما اعتاده قبل ذلك من المنكرات.

ثانيًا: من فوائده المفهومة من معناه، وهو المقصد الأول من إيرادنا للحديث وهو بيان حقيقة التدين والتعبد لرب العالمين، وهذا أمر من الأهمية بمكان؛ إذ في زعمي وعقيدتي وفهمي أن أغلب مشاكل المتدينين أصلها وسببها الرئيس؛ عدم فهم حقيقة الدين أو فهمه ثم تجاهله؛ إذ في نفوس البشر ركام كثيف من الشهوات الجامحة، والنزعات المغلوطة تأتلف جميعًا لتصوغ عملها وتضع سلوكها فيما تشاء له من قوالب، ولتلونه بما تحب له من صبغة أو شهوة تروق لها، وهنا موطن الخلل سواء عن عمد وشهوة أو عن جهل وغفلة فيترتب على هذا الغلط والجهل وتغيير الحقائق وتجاهل المعاني -مهما كان من التمسك بالمظاهر والمباني- يترتب على هذا كله خروج فئات مختلفة من المخالفين يشتركون جميعا في التمسك بظاهر العبادة سواء الصيام وغيره كما يشتركون في تفريغ الأمور من مضمونها، والبعد بها عن حقيقتها ومقصودها فيجعلون مع ظاهر عباداتهم ظلم العباد، والله لا يحب الظالمين، أو يفسدون في الأرض، والله لا يحب الفساد والمفسدين، أو يتكبرون بعباداتهم على الخلق والله لا يحب المتكبرين، أو يُنَصّبون أنفسهم على الخلق حكاما يتألون بذلك على الله، والله جعل فعلهم هذا من كبائر الذنوب وأشد العيوب؛ فإن تعاشر هؤلاء القوم لا تجد فيهم إلا الحنظل المُر أو على أفضل الفروض يظهر رائحة ريحان الشرع ويبطن مرارة طعمه وتفريغه من حقيقته ومقصوده؛ لذا كان علاج ذلك جميعه ان يعلم هؤلاء حقيقة التدين كما أمر الله ووصف لنا رسول الله.

حقيقة التدين:

هذا وليعلم الجميع أن حقيقة التدين هي التمسك والالتزام بما امر الله والانتهاء عما نهى الله ظاهرًا وباطنًا، فمن تمسك بالدين ظاهرًا وباطنًا فهو المتدين حقيقة، ومن تمسك به ظاهرًا وتركه باطنًا فهو مدعٍ للتدين حاله قريب من حال المنافقين شبها وليس حكمًا؛ إذ الأحكام لها شروط تتحقق

وموانع تنتفي، وهذا قطعا ليس متدينًا، والدعاوى ما لم تكن عليها بينات فأهلها أدعياء ونفوسهم كاذبات، ومن ادعى التمسك الباطني وترك الظاهر لا شك عمل مُفْضٍ إلى البدعة كمن وقع فيها أصحاب الفرق وأهل الضلال، وعليه فإنه كما أن للتدين مظاهر نحكم بها فله خفيات تظهر آثارها، مظاهر متعلقة بالقلب والجوارح معا ينبغي مراعاتها، والحرص على تحقيقها.

> “حقيقة التدين هي التمسك والالتزام بما أمر الله والانتهاء عما نهى الله ظاهرا وباطنا، والدعاوى ما لم تكن عليها بينات فأهلها أدعياء، فكما أن للتدين مظاهر نحكم بها فله خفيات تظهر آثارها متعلقة بالقلب والجوارح معا ينبغي مراعاتها والحرص على تحقيقها”

ونبينا صلى الله عليه وسلم جمع في بعض جوامع كلمه حقيقة التدين بوصيته لأحد الصحابة رضي الله عنهم لما سأله فقال: "قل: آمنت بالله ثم استقم"، وهذه كلمات جامعات جمعت الدين كله في كلمتين: قل: آمنت بالله، يعني: حقّق الإيمان في قلبك وبلسانك، (ثم استقم) في جوارحك وأعمالك وفي سلوكك وأخلاقك.

والإيمان بالله لا يكون إلا بمقتضى العقيدة الصحيحة المنبثقة من الكتاب والسنة بفهم الصحابة والصالحين من علماء سلف الأمة، وهذا لا شك فيه، وإلا كل يدعي الإيمان بالله كما ادعى المخالفون على اختلاف عقائدهم وأهل الباطل على اختلاف مشاربهم.

والاستقامة على دين الله لا تكون إلا بمقتضى العمل بشرع الله، وبما سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحتى الإيمان بالله والاستقامة هي دعوى، لها شروط وضوابط وحقيقة ومفاهيم، وعلى هذا فإن التدين أمر لا بد أن يحكم حياة المسلم كلها، في قلبه وروحه ونفسه وعواطفه ومشاعره وأعماله ومواقفه، كل هذه الأمور لا بد أن يتحقق فيها معنى التدين.

هذا وأول حقيقة في بلوغ المراد الشرعي بالتدين: هي صلاح القلب، وصلاح القلب يكون أولاً بتعظيم الرب في أسمائه وصفاته وأفعاله، ويظهر أثر ذلك في تحقق أركان العبادة في قلبه، فالعبادة في القلب لا بد أن تقوم على ثلاثة أركان: المحبة والخوف والرجاء.

ويكون من مظاهر ذلك أن يتحقق معنى التدين في صلاح القلب بالتذلل لله سبحانه، التذلل القدري والشرعي، فيؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ومن مظاهره كذلك: فعل ما أمر الله به، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١)، وذلك باتباع رسول الله، والاتباع يبدأ بالمحبة، بأن يحب المسلم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وعندما تتحقق المحبة تثمر اتباع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، فيستعد المسلم لتوقير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أحواله، ثم اتباع سُنته والاهتداء بهديه، وحبّ ما يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يحبه كذلك، وبُغض ما يبغضه الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن يبغضه كذلك.

ومن حقيقة التدين ما يكون من صلاح القلب: في الرقابة لله عز وجل، والذي ينتج عنها تقوى الله، فمن راقب الله اتقاه، وهذه من معاني الإحسان التي أشار إليها خير الأنام في حديث جبريل عليه السلام، حينما سأله جبريل عن الإحسان فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن

تراه فإنه يراك". بهذا الاستشعار تتحقق الرقابة لله عز وجل في قلب المؤمن وعقله ومشاعره وروحه وعواطفه. فإذا تحققت الرقابة لله عز وجل فإن المسلم لا بد أن يتقي الله، وهذه نتيجة طبيعية، بل نتيجة حتمية. فكل من راقب الله واتقاه فلا بد أن يقوم بما أوجب عليه الله، وأن ينتهي عما نهى عنه مولاه.

> تتجلى حقيقة التدين من حيث صلاح القلب؛ في الرقابة لله عز وجل، والذي ينتج عنها تقوى الله. فمن راقب الله اتقاه. وهذه من معاني الاحسان التي اشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الاحسان.

ثم لا بد أن ينتج عن هذا الأمر أمر اخر تتجلى فيه أيضا حقيقة من حقائق التدين؛ وهو تحقيق العبودية المنشودة بجميل معانيها المفقودة. فالإنسان إذا خضع قلبه لله عز وجل، وإذا استكانت جوارحه وعواطفه وعقله وروحه لله عز وجل، فلا بد أن يؤكد ذلك بتحقيق العبادة. فإذا كانت العبادة على منهج سليم، على ما شرع رب العالمين وسن رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم تحقق التدين في جانب العبادة لله. وذلك بامتثال ما شرعه الله بامتثال الفرائض والواجبات، والتقرب إلى الله عز وجل بما يحبه من الأعمال القلبية والعملية، والابتعاد عما يُبغضه الله من الأعمال والأقوال القلبية والعملية.

ثم تتجلى حقيقة التدين بعد إقامة الفرائض وإقامة الواجبات في عمل السنن والنوافل والمستحبات؛ إذ الأعمال الصالحات يجرّ بعضها إلى بعض، فالحسنات تدعو إلى الحسنات. فإذا وُفق الإنسان الى الحسنة فيُرجى- بإذن الله- أن يهتدي بها إلى الحسنة الأخرى. فمن أقام الفرائض على وجهها، وأدى الواجبات على حقيقة وصفها فيُرجى أن يثمر ذلك في ظهور مظهر آخر من التدين، لا يتذوقه إلا من كان على هذا الطريق، وهو التقرب إلى الله بالنوافل، كما جاء في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يتقرب إليَ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه".

إذًا: تتجلى حقيقة التدين كذلك بالتعبد لله عز وجل، والتعبد لا بد أن يكون على ما شرعه الله عز وجل، فكثير من عباد الأمم وأصحاب الديانات الباطلة قديمًا وحديثًا يتعبون وينصبون في التعبد، لكنهم على غير شرع صحيح، فهؤلاء من الأخسرين اعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا

وأخيرًا؛ فإننا إن كان الله قد تفضل علينا بشهر رمضان ونفحاته، ثم تفضل علينا بشوال وصلته برمضان وكراماته، ثم منّ علينا بذي القعدة لاستقبال شهر الحج الأكبر؛ فكلها نفحات بعد نفحات. فنود-شكرًا لله- أن تكون العبادات عمومًا وعبادة الصيام خصوصًا مُحققة لمقاصدها ومعناها، بعيدةً عن الاكتفاء بأخشابها ومبناها. والله تعالى نسأل أن يجبر كسرنا ويُصلح بالنا ويُدخلنا جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

[illegible]

الحمد لله وكفى، والصلاة على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فلا يخفى على كل مسلم مكانة الحج في دين الله، فهو ركن عظيم من أركان الإسلام، وهو حق مؤكد لله [illegible] على من استطاع إليه سبيلا، قال الله تعالى: [illegible]

[illegible]

وهو ركن عظيم من أركان هذا الدين؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». (متفق عليه. البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج، فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم». ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». (مسلم ١٣٣٧).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». (متفق عليه: البخاري (١٥١٩)، ومسلم ٨٣). والمبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية.

والحج طهارة من جميع الذنوب والآثام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته امه». (متفق عليه: البخاري (١٥٢١)، ومسلم ١٣٥٠).

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن الحج أفضل الجهاد؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكن أفضل الجهاد: حج مبرور». (البخاري: ١٥٢٠).

ومن أعظم ما يشحذ، أي: يقوي همم أهل الإيمان، ويستنهض عزائمهم، حيث لم يرض- رب العزة سبحانه وتعالى- لمن أتى به على الوجه الشرعي ثوابًا إلا الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». (متفق عليه: البخاري (١٧٧٣)، مسلم ١٣٤٩).

ألا ما أعظمها من مكرمات! وما أسعدها من لحظات يعيشها المسلم هي أسعد أيام حياته على الإطلاق! كيف لا؟ والذنوب مغفورة، والدرجات مرفوعة، والجزاء الجنة التي قال الله عز وجل عنها: «أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم [illegible] بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧)». (متفق عليه: البخاري (١٧٧٣)، مسلم ١٣٤٩).

آداب الحج والعمرة:

وحتى يظفر الحاج بهذا الذي وعد الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يراعي في حجّه هذه الآداب:

أولاً: يجب على الحاج وغيره أن يخلص نيته وقصده لله تعالى فيجعل عمله كله لله حتى يقع أجره على الله، وينال ثوابه. قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البينة: ٥). فلا رياء ولا سمعة، ولا انصراف عن الله إلى غيره. وذلك أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه. قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (مسلم (٢٩٨٥)؛ فمن حج يبتغي الذكر والصيت انقلب إليه عمله، ولم يرفع فوق رأسه.

ثانيا: المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

فالإخلاص لله دون متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكفي ولا يجزئ، فأبى الله أن يقبل عملاً إلا إذا أخلص فيه صاحبه لله، وجرد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو القائل عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم». (صحيح مسلم: ١٢٩٧).

وحذر صلى الله عليه وسلم من مخالفته. فقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». (متفق عليه: البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم ١٧١٨).

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد». (صحيح مسلم: ١٧١٨). أي: مردود عليه، غير مقبول.

ثالثا: اجتناب الشرك بأنواعه وأشكاله:

وذلك أن الشرك أعظم ذنب عُصي الله به، وهو مُحبط للعمل. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ [illegible] بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن [illegible]﴾ (الزمر: ٦٥- ٦٦).

والمعنى: لئن أشركت يا محمد ليبطلن عملك الصالح، ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك، وهذا على

سبيل تعليم أمته، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله وحاشا أن يشرك بالله، وهو الذي أرسله الله لإقامة صرح التوحيد.

فالشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل.

فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا أدخل الشرك فيها فسدت كالحدث إذا دخل في الصلاة.

وأعظم مقاصد الحج تحقيق التوحيد لله، والبعد عن الإشراك به، يقول سبحانه: [illegible] » (الحج: ٢٦). فلا يجوز أن يلجأ العباد- في قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، وشفاء مرضاهم- إلا إلى من بيده وحده تصريف الأمور، ودفع الشرور، لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه فالتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور إليه دون غيره، واعتقاد أنه مالك النفع والضر دون سواه- أمور يجب على المسلم أن يعتقدها دينًا لله الواحد الأحد، لا يشركه فيها أحد من الخلق؛ قال الله تعالى: « [illegible] حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » (الزمر: ٣٨)؛ وقال تعالى: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده» (يونس: ١٠٧).

فعلق قلبك بربك أيها الحاج، وضع نصب عينيك وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». (صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧). ورواه أحمد (١/ ٢٩٣)، وصحيح الجامع رقم (٧٩٥٧).

رابعًا: التوبة النصوح ورد المظالم:

على الحاج أن يتوب من ذنوبه توبة نصوحًا. قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » (التحريم: ٨)، وإن للتوبة النصوح شروطًا:

١- الإقلاع عن الذنب، بأن يخلع نفسه من الذنب كما يخلع قميصه.

٢- الندم على ما فات، والتأسف عليه.

٣- العزم على أن لا يعود إلى هذا الذنب أبدًا.

٤- أن تقع التوبة حال الصحة والعافية قبل اليأس من الحياة ومعاينة ملك الموت. قال الله تعالى: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » (النساء: ١٨).

٥- إذا كان الذنب متعلقًا بعباد الله فإن على التائب أن يرد على العباد حقوقهم إذا استطاع، وأن يتحللهم إن أمكن.

خامسًا: الاستعداد للحج بالعلم النافع، والفقه في الأحكام:

المسلم إنما يعبد الله على بصيرة وعلم، وإذا أوجب الله على العبد أن يحج إلى بيته، وجعل ذلك أحد أركان دينه، كان من الواجب على المسلم أن يتعلم ما يلزمه في حجه.

فمن الخطأ أن تجد الرجل يحج، ويقتحم أبواب هذه العبادة بغير علم، وإنما يبني عبادته على شيء يظنه أو سمعه ممن لا علم له، ثم يذهب بعد وقوع المحذور في حجه مستفتيًا أهل العلم، قائلاً: أوجدوا لي مخرجًا.. وكان الواجب عليه أن يعلم قبل أن يعمل. قال الإمام البخاري في كتاب العلم: «باب: العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: « فاعلم أنه لا إله إلا الله » (محمد: ١٩) فبدأ بالعلم. (فتح الباري ١/ ٦١).

فلا يجوز أن يعبد الله على جهل، أو تؤدي المناسك على غير هدي، وذلك أمر ينبغي أن

يعتني به الحجاج أيما عناية.

سادسا: التماس الرفيق الصالح:

نهى الإسلام أبناءه عن الوحدة في السفر، وحثهم على الترافق واتخاذ الصحبة، لما في ذلك من تلبية لاحتياج النفس إلى الاجتماع، ولما يشتمل عليه من أنس وتكامل وعون ووقاية وتبادل خدمة. فقال صلى الله عليه وسلم: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب». (صحيح الجامع رقم ٣٥٢٤).

وفي الوقت نفسه جاءت النصوص بالحث على حسن اختيار الرفيق، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وأما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا منتنة». (متفق عليه: البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

فاستعن بالله تعالى واسأله أن يوفقك لحسن الرفقة وطيب العشرة، والانتفاع بالصحبة، فينبغي على الحاج أن يصاحب رفيقًا يذكره إذا نسي، ويقويه إذا عجز، ويصبره إذا يئس، ويشجعه إذا جبن، يأخذ بيده للخير ويدله عليه، يحب له الخير كما يحبه لنفسه، ينصح له في حله وترحاله.

سابعا: التحلي بمكارم الأخلاق وحسن العشرة:

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها ترفع الدرجات، وتضاعف الحسنات، وإنها الغاية الأولى من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (الصحيحة رقم ٤٥).

فالمسلم مطالب بالتحلي بحُسن الخلق في كل زمان ومكان وكل وقت وحين، ولا سيما في هذا الموطن، فالسفر غالبًا يعري الإنسان من الأقنعة التي كانت تحجب طبيعته، وما سمي السفر سفرًا إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، فكن أخي الحاج حسن الخلق مع إخوانك فإن حُسن الخلق عنوان كمال الإيمان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا». (صحيح الجامع رقم ١٢٣٢).

ومن ذلك استعمال مفاتيح القلب والولوج من بوابات النفس: من تبسم الوجه طلاقته، وكلمة طيبة، وحسن استماع، ومشاركة وجدانية، والحفاظ على المشاعر والحقوق والممتلكات، واحسان الظن، والتماس العذر، وتذكر الحسنات، وتغليب التسامح والرحمة على المحاققة، وترك الملامة، وتجاوز الإساءة، والتغافل عن الخطأ، وسرعة الاعتذار عن الزلل، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء». (صحيح الجامع رقم ٦٥٢٢).

ثامنا: تجنب الرفث والفسوق والجدال:

قال الله تعالى: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجِّ» (البقرة: ١٩٧)، يعني أنه من أوجب الحج على نفسه خلال هذه الشهور بأن تلبّس به، وألزمه نفسه، فليحترم ما التزمه من شعائر الله، وليصنه من الرفث الذي هو مقاربة النساء ما دام محرمًا، ومن الفسوق الذي هو الخروج عند حدود الشرع بفعل أي محظور يخل بإحرامه، ومن الجدال.

تاسعا: الحذر كل الحذر من مقارفة المعاصي:

قال الله تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥)، فإذا كان ذلك لمجرد الإرادة فكيف بمن يريد ويفعل؟

إن في هذا التعبير البليغ زيادة في التحذير، ومبالغة في التوكيد، ولقد ضرب السلف

الصالح أروع الأمثلة في الأدب مع حرم الله عز وجل. يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «كنا نعد: لا والله، وبلى والله، من الإلحاد في الحرم».

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «لأن أخطئ سبعين خطيئة بـ (ركبة)- أحب إليّ من أن أخطئ خطيئة واحدة في الحرم». (المصنف لعبد الرزاق (٢٨/٥)). معنى (ركبة): اسم موضع بالحجاز بين غمرة وذات عرق.

عاشرا: استثمار الوقت في الحج

الحج أيام معدودة، وسويعات محدودة، ينقضي بانقضائها، ويستفاد منه بمقدار استثمارها، فمن صدق فيها ربه فنفر من المعاصي والمنكرات وجد في الطاعات، واستكثر من الخيرات بانيا عمله على اخلاص واتباع، فحري به أن ينال عالي الدرجات، ويخرج من الموسم بحج مبرور وسعي مشكور وتجارة لن تبور، بإذن الله، وقد وردت في ثنايا آيات الحج إشارات تحث العبد على الاستكثار من الطاعات وقت أداء النسك، ومن ذلك: قوله عز وجل: «وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» (البقرة:١٩٧). ولعل من أهم الطاعات التي ينبغي أن يستكثر منها العبد ويشغل بها وقته أثناء التسك:

١) أعمال القلوب من إخلاص، ومحبة، وتوكل، وخوف، ورجاء، وتعظيم، وخضوع، واظهار افتقار، وصدق في الطلب والمسألة، والتوبة والإنابة، والصبر، والرضا والطمانينة... ونحو ذلك، فهذا من أهم ما ينبغي أن ينشغل به العبد في حجه، إذ مدار الإسلام على هذه الأمور، قال ابن القيم: ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض من أعمال الجوارح وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت. (بدائع الفوائد: ٣٣٠/٣).

٢) قراءة القران والذكر والاستغفار. وقد أمر الله الحجيج بالذكر والاستغفار في ثنايا ايات الحج، وقال صلى الله عليه وسلم حاثا على التلبية والذكر فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أهل مُهلّ ولا كبّر مُكبّر قط إلا بشر، قيل بالجنة؟ قال: نعم». (السلسلة الصحيحة رقم ١٦٢١).

٣) بذل المعروف: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». (مسلم: ٢٦٢٦). وقوله صلى الله عليه وسلم: «أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس». (صحيح الجامع رقم ١٦٧).

استشعار حقيقة الحج:

إدراك العبد حقيقة الحج والحكم والأسرار التي شرعت الشعائر من أجلها، يهيئ العبد ليكون حجه مبرورا؛ إذ القيام بذلك بمنزلة الخشوع في الصلاة، فمن كان فيها أكثر خشوعا كانت صلاته أكثر قبولا، وكذلك الحج، كلما استوعب المرء حقيقة الحج، وروحه، والحكم والغايات التي شرع من أجلها، واتخذ ذلك وسيلة لتصحيح عقيدته وسلوكه، كلما كان حجه أكثر قبولاً وأعظم أجرًا، هكذا يجب أن يعي الحجاج هذه الفريضة العظيمة، وأن يلتزموا بهذه الوصايا في قلوبهم، ويمتثلوها واقعًا عمليًا بأفعالهم وسلوكهم.

«[illegible]» (الحج: ٣٠).

«[illegible] القلوب» (الحج: ٣٢).

فتعظيم شعائر الله يكون بإجلالها بالقلب ومحبتها، وتكميل العبودية فيها.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يكتب لنا ولكل متشوق حج بيته الحرام، وأن يتقبل من الحجاج وأن يجعل حجهم مبرورًا، وسعيهم مشكورًا، وذنبهم مغفورًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدعوة

على منهاج النبوة

[illegible]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن التوحيد هو أصل الدين وأساسه، وعليه ترتكز دعائمه وأركانه، وكل الأوامر والنواهي والعبادات والطاعات كلها مؤسسة على عقيدة التوحيد التي هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، الشهادتان اللتان هما الركن الأول من أركان الإسلام، فلا يصح عمل، ولا تقبل عبادة، ولا ينجو أحد من النار ويدخل الجنة إلا بتحقيق هذه العقيدة، ولهذا كان اهتمام العلماء في هذا الجانب اهتماما عظيما؛ لأنه هو الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويأتي هذا المقال ليبين أهمية هذا الأمر ويؤكد أهم المعاني

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال له : إنك تقدَمُ على قوم أهل كتاب : فليكن أوّل ما تدعوهم إليه : عبادة الله .

(وفي رواية : فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله)

(وفي رواية : أن يوحّدوا الله تعالى)

ثم قال : فإن هم أطاعوا لك بذلك (وفي رواية : فإذا عرفوا الله) فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة .

فإن هم أطاعوا لك بذلك : فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم : فتردُّ على فقرائهم .

فإن هم أطاعوا لك بذلك : فإياك وكرائم أموالهم :واتق دعوة المظلوم : فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .(متفق عليه : البخاري (١٤٥٨) (٧٣٧٢) (١٤٩٦) ومسلم (١٩)) .

معاني الكلمات

بعث : أرسل ، وكان إرسال النبي – صلى الله عليه وسلم- لمعاذ سنة عشر قبل حج النبي – عليه الصلاة والسلام -.

أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى.

شهادة أن لا إله إلا الله : المراد بذلك نطقا بها ، ومعرفة معناها ، والعمل بمقتضاها.

أطاعوك لذلك : آمنوا بذلك وعملوا به.

افترض : أوجب.

صدقة : المراد بها الزكاة.

فإياك : احذر.

كرائم أموالهم : خيارها.

اتق دعوة المظلوم : اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل.

حجاب : حائل.

من فوائد الحديث :

> “ العبادات لا تصح قبل التوحيد ؛ فهو شرط لقبولها . ”

١) فيه فضل معاذ رضي الله عنه : فقد ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم نائبًا عنه : ومبلغًا دعوته ... وقد وصفه صلى الله عليه وسلم فقال : أعلمهم بالحلال والحرام. صحيح سنن الترمذي (٣٧٩٠) .

٢) فيه أن أهل الكتاب أفضل من سائر المشركين .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وليس فيه أن جميع من يقدَم عليهم من أهل الكتاب ؛ بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم : وإنما خصّهم بالذكر : تفضيلًا لهم على غيرهم . فتح الباري (٣٥٨/٣) .

فتؤكل ذبائحهم ، وتنكح محصناتهم ، وتقبل منهم الجزية .

٣) فيه بيان منهج الدعوة إلى الله ، والبدء فيها بالأهم فالأهم . وأهل السنة والجماعة يفرّقون بين منهج الدعوة إلى الله ، وبين وسيلة الدعوة (المباحة) إلى هذا المنهج : فالأول توقيفي ؛والثاني محل اجتهاد .

٤) فيه أنه ليس كل من ادعى شيئًا فهو فيه ! قال القاضي عياض رحمه الله عند قوله : فإذا عرفوا الله : هذا يدلّ على أنهم ليسوا بعارفين الله تعالى ! (شرح مسلم (١٩٩/١)) .

٥) فيه أهمية الصلاة والزكاة ، وأنهما يأتيان بعد توحيد الله مباشرة .

٦) فيه أن العبادات لا تصحُّ قبل التوحيد : فهو شرط لقبولها .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : المراد بعبادة الله ،توحيده ،وبتوحيده ،الشهادة له بذلك ،ولنبيه بالرسالة ؛ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدِّين الذي لا يصحُّ شيءٌ غيرهما إلا بهما . فتح الباري (٣٥٨/٣) .

٧) فيه دليل إلى أن الوتر ليس بواجب ؛ وإن كان من آكد المستحبات :فإن الله تعالى افترض في اليوم والليلة خمس صلوات فحسب .

٨) فيه الإشارة إلى أنه من حكم فرض الزكاة :

> التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل .

إرساء ما يُسمَّى اليوم بـ "التكافل الاجتماعي" ؛ فهو في مصلحة المجتمع عمومًا ، وليس مجرد استخلاص للأموال!

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إن الله تعالى بعث محمدا هاديًا ، ولم يبعثه جابيًا ! الحكم الجديرة بالإذاعة (٢٦) .

٩) فيه اتقاء خير أموال الناس في الزكاة ؛ وأن أخذها من الظلم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : الزكاة : لمواساة الفقراء ؛ فلا يناسب ذلك ؛ الإجحاف بمال الأغنياء ! فتح الباري (٣/٣٦٠) .

١٠) فيه أن الأصل في الزكاة أن تصرف لأهل بلد المزكي . (... اغنيائهم ... فقرائهم)

١١) فيه أن زكاة المال تجب على كل من بلغ عنده نصابها ، وإن كان صغيرًا أو مجنونًا ... لدخولهم في قوله : تؤخذ من أغنيائهم .

١٢) فيه لطيفة ، وهي أن الحد الفاصل بين الغني والفقير ؛ هو ما تجب فيه زكاة المال .

١٣) فيه رد على الأشاعرة وأهل الكلام : الذين جعلوا أول الواجبات على المكلفين ؛ هو الشك في وجود الله تعالى ، ثم البحث ، واثبات ذلك من طريق العقل ! (سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرا)

قال الإمام القرطبي رحمه الله : ولو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقا بالذم :

إحداهما : قول بعضهم : إن أول واجب الشك : إذ هو اللازم عن وجوب النظر ، أو القصد إلى النظر !

ثانيتهما : قول جماعة منهم : إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها لم يصح إيمانه ! فتح الباري (١٣/٣٥٠) باختصار .

وقال ابنُ أبي العزِ الحنفيُّ -رحمهُ الله تعالى- : « اعلَمْ أنَّ التَّوحيدَ أوَّلُ دعوةِ الرُّسُلِ ، وأوَّلُ منازلِ الطَّريقِ ، وأوَّلُ مقامٍ يقومُ فيه السَّالكُ إلى الله عزَّوجل .... قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النَّحل: ٣٦). ولهذا كانَ أوَّلُ واجِبٍ يجِبُ على المكلفِ شهادةَ أنْ لا إله إلاَّ الله، لا النَّظرُ ، ولا القصْدُ إلى النَّظرِ ، ولا الشَّكُّ ، كما هي أقوالٌ لأرْبابِ الكلامِ المذْمُومِ ، بلْ أئمَّةُ السَّلفِ كُلُّهُمْ مُتَّفقُونَ على أنَّ أوَّلَ ما يُؤْمرُ به العبْدُ الشَّهادتانِ ... فالتَّوحيدُ أوَّلُ ما يدْخُلُ به في الإسْلامِ ، واخرُ ما يخرجُ به من الدُّنْيا ، كما قال النَّبيُّ صلَّى الله عليْه وسلَّم : « منْ كان اخرُ كلامه لا إله إلاَّ الله دخَل الجنَّةَ » ، وهُو أوَّلُ واجبٍ، وَاخرُ واجبٍ. فالتَّوحيدُ أوَّلُ الأمْرِ وآخرُهُ ، أَعْني توْحيدَ الألُوهية » شرح العقيدة الطحاوية » : (٧٧-٧٨).

فالنبي عليه الصلاة والسلام أرسل معاذًا ليبلغ الناس أول الواجبات وأهم المهمات ؛ ألا وهو شهادة التوحيد وعبادة الله .

وأما الايمان بوجود الخالق وربوبيته ؛ فهو مما جعله الله في قرارة نفوس البشر قبل خلقهم !

قال الله تعالي : ﴿ وإذ أخذ ربُك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ بل إن الله قد فضح من جهر بإنكار وجوده سبحانه وتعالى ؛ فقال عن فرعون وقومه: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعُلوا» .

١٤) فيه الرد على الأشاعرة ومن نحا نحوهم ؛ الذين يعتقدون أن العقائد لا تثبت بخبر الأحاد ؛ بل لا بد لثبوتها (عندهم) من خبر متواتر !

فهذه العقيدة مع كونها خالية من دليل متواتر لثبوتها ؛ فهي -أيضا- مخالفة لصريح هذا الحديث !

قال العلامة الألباني رحمه الله إن هذا الحديث دليل قاطع على ان العقيدة تثبت بخبر الواحد ، وتقوم به الحجة على الناس ●

، ولولا ذلك لما اكتفى رسول الله صلي الله عليه وسلم بإرسال معاذ وحده ! وهذا بيِّن ظاهر .

وجوب الأخذ بحديث الآحاد (٨) .

١٥.) فيه الرد على بعض الجماعات الذين يدعون الناس إلى فضائل الأعمال ، ويتركون الدعوة إلى أصل الدِّين وأساسه الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى . ألا وهو : دعوة الناس إلى توحيد الله ، ونبذ الشرك .

قال تعالى ،، وما ارسلنا من قبلك من رسول الا توحي إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون ، ولذلك دعا النبي صلي الله عليه وسلم ، وأرسل معاذًا وغيره ؛ ليبلغوه للناس .

١٦) فيه الرد على المستشرقين والمستغربين من زنادقة الشرق والغرب : الذي يصوِّرون لاقوامهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف ، وسفك دماء الناس ...!

والحقيقة أن الإسلام جاء بدعوة الناس لإحياء ما وقر في قلوبهم وفطرهم ، من توحيد الخالق ، وتعبيدهم إليه ، والكفر بما سواه من معبودات ، وليس ثمة إجبار للناس في هذا .

قال الله تعالى ،، لا إكراه في الدِّين ،

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله : هذا بيان لكمال هذا الدِّين الإسلامي ، وأنه لكمال براهينه ، واتِّضاح آياته ، وكونه : هو دين العقل والعلم ؛ ودين الفطرة والحكمة ؛ ودين الصلاح والإصلاح ؛ ودين الحق والرشد .. فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه عليه ؛ لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ، ويتنافى مع الحقيقة والحق ، أو لما تخفى براهينه وآياته . تيسير الكريم الرحمن (٩٥٤) .

.وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية ؛ أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا ، وإذا لقيت عدوُّك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم:

١ - ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ؛ فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين .

فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ؛ إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين .

٢- فإن هم أبوا ، فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم .

٣- فإن هم أبوا ؛ فاستعن بالله وقاتلهم . صحيح مسلم (١٧٣١) .

١٧) فيه بيان خطورة الظلم وشناعته ، ووعيد الله للظالم بعاجل مجازاته

قال تعالي ، اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافرًا ؛ فإنه ليس دونها حجاب . السلسلة الصحيحة (٧٦٧) .

وقال : اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تُحمل على الغمام ، يقول الله جل جلاله : وعزَّتي وجلالي ؛ لأنصرنَّك ، ولو بعد حين . السلسلة الصحيحة (٨٧٠)

ودعاء المظلوم وغيره مُقيَّد بما جاء في قول النبي صلي الله عليه وسلم : ما من مسلم يدعو ، ليس بإثم ، ولا بقطيعة رحم ؛ إلا أعطاه إحدى ثلاث :

إما أن يُعجِّل له دعوته .

وإما أن يدَّخرها له في الآخرة .

وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها .

قيل : إذا تكثر ؟

قال : الله أكثر . صحيح الأدب المفرد (٧١٠)

هذا ما وفقني الله إليه ، والله من وراء القصد . والحمدُ لله ربِّ العالمين .

هجرة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين واشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له. واشهد ان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

اما بعد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسلم وقد [illegible] قبل [illegible] من [illegible] وقد رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعقاب بدر وأما موضوعنا في هذا العدد فيتعلق بيوم آخر من ايام حياته صلى الله عليه وسلم مع احدى بناته حيث فرق بينهما بالهجرة زمنا لا يكاد يهون الفراق فيه على قلب الأب عموما: فكيف بقلب أرحم الآباء؟! صلى الله عليه وسلم: حيث أخرج نبينا -أبوها- صلى الله عليه وسلم واصحابه من مكة وبقيت هي عند زوج كافر وبين الكفار!

إعداد د/ سيد عبد العال

إن القلب ليتفطر عندما ينظر في حال البنت-رضي الله عنها- حال بعدها عن أبيها، فإذا التفت نحو الأب، وما يتحمله من مسئولية الرعاية نحو الأبناء فوق الحب والشفقة والرحمة، ذاب ولم يعد يتحمل، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل وصبر هو وابنته رضي الله عنها!

فمن هي؟ إنها زينب رضي الله عنها، فما الذي حدث؟ لكي نتصور الأمر لا بد من الإشارة إلى زينب، وزوجها وإلى قصة الهجرة وما الذي جرى لها فيها

أولا: من هي زينب؟!

انها زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُوْلِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ- وأَكْبرُ أَخَواتِها، مِنَ المُهاجرات السَّيِّدَات... ولدت في سنة ثلاثين من مولد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليْهِ وَسلَّمَ، وماتت في سنة ثمان من الهجرة.

قال أَبُو عُمر: كانت زينب أكبر بناته صلى الله عليه وسلم. لا خلاف أعلمه في ذلك إلا ما لا يصح ولا يلتفت إليه، وإنما الاختلاف بين زينب والقاسم أيهما ولد له صلى اللهُ عليْه وسلَّم أولا.

سير أعلام النبلاء (٢/٢٤٦)، والاستيعاب (١٨٥٣/٤).

ثانيا: زوجها.

هو أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف. اسمه القاسم- وهو الثبت-. ويقال: لقيط، ويقال: مهشم، وكان يقال له جرو البطحاء، وأبو العاص هو ابن خالة زينب؛ أمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة رضي الله عنها. وهو القائل وخرج إلى الشام فتشوق زينب:

ذكرت زينب لما جاوزت إرما... فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت النبي جزاها الله صالحة... وكل بعل سيثني بالذي علما

وتوفي أبو العاص في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة. معجم الشعراء (٣٣٢).

ثالثاً: ذكر موقف سابق يترجم عن محبة الصحابة لآل البيت، وعن تكريم الإسلام للمرأة، وعما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن السياسة والإكرام لأصحابه ورعاية الحقوق رغم ما كان عليه الصحابة من توقيره وتعزيره صلى الله عليه وسلم!

وذلك أنه كان من الأسرى في بدر صهرُ الرَّسُول- صلى اللَّه عليه وسلم- أَبُو العاص بنُ الرَّبِيع- رضي اللَّه عنه- وكان ما زال مُشْرِكًا: فعنْ عائشة رضي اللَّهُ عنْها قالتْ: لَمَّا بعث أهْلُ مكة في فداء أسْراهُمْ، بعثتْ زيْنبُ بنتُ رسُول اللَّه- صلى اللَّه عليه وسلم- في فداء أبي العاص بن الرَّبِيع بمالٍ، وبعثتْ فيه بقلادةٍ لها كانتْ لخديجة رضي اللَّهُ عنْها، أدْخلتْها بها على أبي العاص حين بنى عليْها، قالتْ: فلمَّا راها رسُولُ اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- رقَّ لها رقَّةً شديدةً، وقال: "إنْ رأيْتُمْ أنْ تُطْلقُوا لها أسيرها، وتَرُدُّوا عليها الذي لها، فافعلوا". فقالُوا: نعمْ يا رسُول اللَّه، فأطْلقُوهُ، وردُّوا عليها الذي لها.

قال ابْنُ إسْحاق: فكان ممَّنْ سُمِّي لنا ممَّنْ منَّ عليْه رسُولُ اللَّه صلى اللَّهُ عليْه وسلم من الأسارى بغيْر فداءٍ منْ بني أُميَّة: أبُو العاص بْنُ الرَّبِيع..وقد كان رسُول صلى اللَّهُ عليْه وسلم قدْ أخذ عليْه أن يخلي سبيل زيْنب، يعْني أنْ تُهاجر إلى المدينة، فوفَى أبُو العاص بذلك. صحيح، مسند أحمد (٢٦٣٦٢)، وشرح مشكل الآثار (٤٧٠٨) وسنن أبي داود (٢٦٩٢)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (٢/٤٨٤).

فتأملوا كيف أطلق الصحابة الأسير الكافر: اكراما لزوجته لانها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أهل بيته! ثم يقال: إن الصحابة يعادون أهل البيت! وهذا كذب.

وكيف أكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك-في موقف متعلق بالجيش والحرب والقوة والغلبة- ثم يقال: الإسلام ظلم المرأة! وهذا محض افتراء.

وقوله: "فلمَّ رآها" أي تلك القلادة رسول الله رقَّ لها ، اي لزينب رقة شديدة" أي، لغربتها ووحدتها وتذكر عهد خديجة وصحبتها فان القلادة كانت لها وفي عنقها. مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٥٥٦).

وفيه إشارة إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الحب لخديجة رضي الله عنها وأن ذلك ما زال باقيا حتى بعد موتها وأنه حفظ العهد بذلك، وقد ترجم البخاري فقال: باب حسن العهد من الإيمان.

ثم روى عنْ عائشة رضي اللَّهُ عنْها، قالتْ: "ما غرْتُ على امْرأةٍ ما غرْتُ على خديجة، ولقدْ هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت اسمعه يذكرها، ولقد امره ربه ان يبشرها ببيت في الجنة من قصبٍ، وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبحُ الشاة ثُمَّ يُهْدي في خُلتها منْها" صحيح البخاري (٦٠٠٤).

ثم تأمل: أن الراوي لذلك كله هي عائشة رضي الله عنها، وأنه في مناقب أهل البيت رضي الله عنهم، وهو واضح في بيان كذب الرافضة في ادعاء العداوة بين الصحابة وآل البيت عموما وبين عائشة رضي الله عنها خصوصًا!

رابعاً: ذكر موقف الهجرة:

وقد تعرضت فيه زينب رضي الله عنها لمحاولة اغتيال من بعض المشركين: كما في حديث عائشة رضي اللَّهُ عنها: أنَّ رسُول اللَّه-صلى اللَّه عليه وسلم- لمَّا قدم المدينة، خرجت ابْنتُهُ منْ مكة مع بني كنانة فخرجُوا في أثرها-وكانتْ رضي اللَّهُ عنْها حاملاً- فأدْركها هبَّارُ بنُ الأسْود، فلمْ يزلْ يطْعنُ بعيرها برُمْحه حتَّى صرعها، فألقتْ ما في بطْنها وأهْريقتْ دمًا: فانْطلق بها، واشْتجر فيها بنُو هاشم، وبنُو أُميَّة، فقال بنُو أمية: نحن احق بها، وكانت تحت ابن عمهم ابي العاص بن الرَّبيع بن عبْد شمْسٍ، فكانتْ عنْد هنْد بنْت عُتْبة بن ربيعة، وكانتْ تقُولُ لها هنْدُ: هذا في سبب أبيك، فقال رسُولُ اللَّه-صلى اللَّه عليهوسلم- لزيْد بن حارثة: "ألا تنْطلقُ فتجيءُ بزيْنب؟" قال: بلى يا رسُول اللَّه، قال-صلى اللَّه عليه وسلم-: فخذ خاتمي هذا، فأعطها اياه ، فانطلق زيد فلم يزل يلطف، وترك بعيره حتَّى أتى راعيًا، فقال له: لمن ترعى؟ قال: لابي العاص بن الرَّبيع قال: فلمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد-صلى الله عليه وسلم- فسار معهُ شيْئًا، ثُمَّ قال لهُ: هلْ لك أنْ أُعْطيك

شيئًا تُعطيها إيَّاهُ، ولا تذْكُرْهُ لأحدٍ؟ قال: نعمْ. فأعطاهُ الخاتم، فانْطلق الرّاعي، فأدْخل غنمهُ، وأعطاها الخاتم فعرفتْهُ. فقالتْ: منْ أعْطاك هذا؟ قال: رجلٌ. قالتْ: وأيْن تركْته؟ قال: مكان كذا وكذا. فسكتتْ حتّى إذا كان الليْلُ خرجتْ إليْه. فقال لها زيْد: اركبي بيْن يديْ. قالتْ: لا ولكنْ اركبْ أنْت. فركب وركبتْ وراءهُ حتّى أتت النّبيْ-صلى اللّه عليه وسلم-، كان رسُولُ اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- يقُولُ: "هي أفْضلُ بناتي أصيبت في"

فبلغ ذلك عليْ بْن حُسيْنٍ فانْطلق إلى عُرْوة فقال: مَا حديثٌ بلغني عنْك أنّك تُحدّثُهُ تنقص فيه حق فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحب أنّ لي ما بيْن المشْرق والمغْرب، وأنّي أنتقصُ لفاطمة حقًّا هُو لها، وأمّا بعد ذلك إنّي لا أُحدّثُ به أبدًا. المعجم الكبير (١٠٥١)، والمستدرك (٦٩١٥). وقال: إسناده جيد، وقال الحاكم: " هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخيْن ولم يخرّجاهُ " وانظر: والصحيحة (٣٠٧١).

وهذا فيه فوائد:

منها: أن ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدًا باصطحاب زينب في السفر كان في حال أخوته لها بالتبني قبل تحريمه: فكان محرمًا لها: جائزًا له السفر بها، كما يجوز لأخ لو كان لها من النسب من السفر بها. شرح مشكل الآثار (١/١٣٥)، واللؤلؤ المكنون (٢/٤٧٢).

ومنها: أن قوله-صلى الله عليه وسلم-: "أفْضلُ بناتي". هذا محمول على هذا الوقت والله أعلم قال ابن حجر: وأمّا قوله: "هي أفضلُ بناتي أصيبتْ في". فجوابه: أن ذلك كان مُتقدّمًا، ثم وهب الله تعالى لفاطمة من الأحوال السّنيّة والكمال ما لم يشاركها أحدٌ من نساء هذه الأمة مطلقًا. الفتح (٧/٤٧٧).

وقال: يحتمل، أن يقدر "من" أي من أفضل بناتي.

وأن يقال: كان ذلك قبل أن يحصل لفاطمة جهة التفضيل التي امتازت بها عن غيرها من أخواتها. فتح الباري (٧/١٠٩).

ومنها: أن رسُولُ اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- كان يُثْني على أبي العاص بن الرّبيع-رضي اللّه عنه- ويحفظ له هذا الموقف: فيقُولُ: "حدّثني فصدقني، ووعدني فوفى لي". البخاري (٣٧٢٩).

خامسا: شأن هبار بن الأسود:

وأمّا هبّارُ بنُ الأسْود الذي طعن بعير زيْنب فأسقطها منْهُ، فقد مر بمرحلتين بعد ذلك:

الأولى: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله حرقًا بالنار ثم نسخ ذلك بالأمر بقتله دون النار: فعن أبي هُريْرة-رضي الله عنه- أنّهُ قال: بعثنا رسُولُ اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- في بعْث فقال: "إنْ وجدْتُمْ فلانًا وفُلانًا- هبّار بْن الأسْود، ونافع بْن عبْد القيْس- فأحْرقُوهُما بالنّار". ثُمّ قال رسُولُ اللّه-صلى اللّه عليه وسلم- حين أردْنا الخُرُوج: "إنّي أمرْتُكُمْ أنْ تُحْرقُوا فُلانًا وفُلانًا، وإنّ النّار لا يُعذّبُ بها إلّا اللّهُ، فإنْ وجدْتُمُوهُما فاقْتُلُوهُما" البخاري (٣٠١٦)، وصحيح ابن حبان (٥٦١١).

الثانية: توبته وإسلامه: عن ابْن أبي نجيح أنه ذكر نحو الحديث السابق ثم قال: فلم تُصبْهُ السّريّةُ وأصابتْهُ ثلّةٌ إلى المدينة، فأسلم.

وقال ابن عبد البر: ثم أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه. وصحب النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم. وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سُفْيان-رضي الله عنه-. سنن سعيد بن منصور (٢٦٤٦)، والاستيعاب (٤/١٥٣٦).

فتأمل هذا كله: يسلم ويعفو عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، ولأن الإسلام يجب ما كان قبله، ولأن الأعمال بالخواتيم: فسبحان ربنا الرحمن الرحيم!

وانظر: واللؤلؤ المكنون (٢/٤٧٤).

هذا ولقد توفيت زيْنب رضي الله عنها في أوائل العام الثامن الهجْريّ، ونذكر هناك قصة الغسل والتكفين وما يتعلق بهما إن شاء وكذلك أبناؤها من أبي العاص.

والحمد لله رب العالمين.

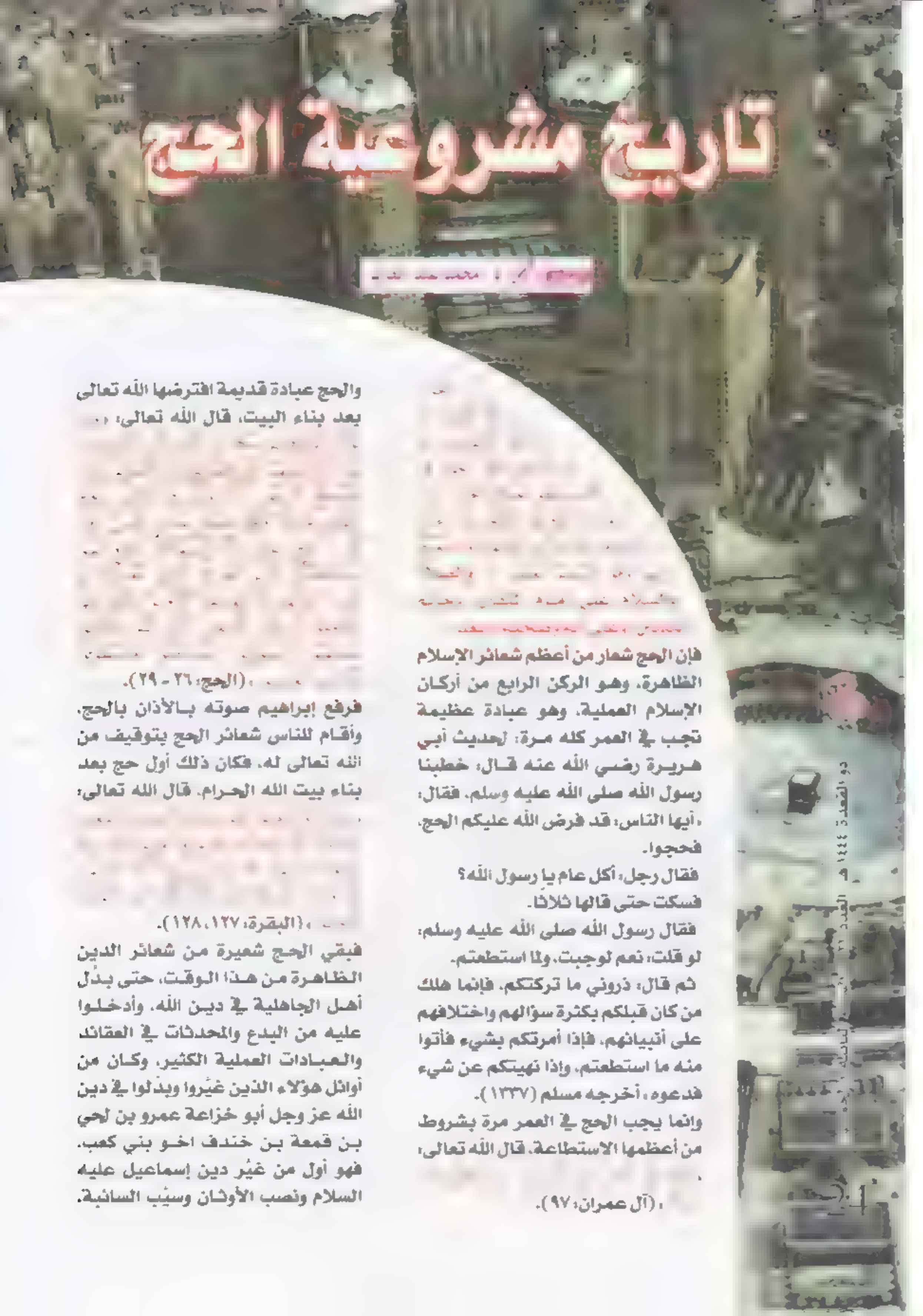

تاريخ مشروعية الحج

[illegible] أ. محمد [illegible]

فإن الحج شعار من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام العملية، وهو عبادة عظيمة تجب في العمر كله مرة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا.

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم.

ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» أخرجه مسلم (١٣٣٧).

وإنما يجب الحج في العمر مرة بشروط من أعظمها الاستطاعة، قال الله تعالى:

» (آل عمران: ٩٧).

والحج عبادة قديمة افترضها الله تعالى بعد بناء البيت، قال الله تعالى: «

» (الحج: ٢٦ - ٢٩).

فرفع إبراهيم صوته بالأذان بالحج، وأقام للناس شعائر الحج بتوقيف من الله تعالى له، فكان ذلك أول حج بعد بناء بيت الله الحرام. قال الله تعالى:

» (البقرة: ١٢٧، ١٢٨).

فبقي الحج شعيرة من شعائر الدين الظاهرة من هذا الوقت، حتى بدل أهل الجاهلية في دين الله، وأدخلوا عليه من البدع والمحدثات في العقائد والعبادات العملية الكثير، وكان من أوائل هؤلاء الذين غيروا وبدلوا في دين الله عز وجل أبو خزاعة عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخو بني كعب، فهو أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ونصب الأوثان وسيب السائبة.

وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، وابتدع للعرب عبادة الأصنام. فنصب بمنى سبعة أصنام ونصب صنمًا على القرين الذي بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق، ونصب على الجمرة الأولى صنمًا وعلى المدعى صنمًا وعلى الجمرة الوسطى صنمًا، ونصب على شفير الوادي فوق الجمرة العظيمة صنمًا، وعلى الجمرة العظمى صنمًا، وقسم عليهن حصى الجمرات إحدى وعشرون حصاة يرمي كل وثن بثلاث حصيات، ويقال للوثن حين يرمي أنت أكبر من فلان الصنم الذي يُرمى قبله. (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للفاكهي ٤/ ٢٨٧).

وهو الذي أمر بعبادة إساف بن عمرو، ونائلة ابنة سهيل، وكانا قد زنيا في الكعبة فمُسخا حجرين، فنصبا عند الكعبة.

وقيل: نصب أحدهما على الصفا، والآخر على المروة؛ ليُعتبر بهما، فقدم الأمر، وأمر عمرو بن لحي بعبادتهما، ثم حولهما قصي فجعل أحدهما بلصق البيت وجعل الآخر بزمزم.

وقيل: بل جعلهما بموضع زمزم ينحر عندهما، وكانت الجاهلية تتمسح بهما إلى أن كسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح.

وهو الذي أدخل عبادة اللات في الطائف، واللات كان رجلاً من أهل الجاهلية كريمًا يقيم على صخرة بالطائف وعليها غنم له، فكان إذا مر به ناس أطعمهم حيسًا يصنعه من زبيب الطائف والأقط.

فلما مات اللات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتًا، وكانت اللات بالطائف.

فكان هذا الرجل من حطب جهنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سيب السوائب» أخرجه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٨٥٦).

والمقصد أن الشيطان جعل يجر هؤلاء حتى طمسوا معالم التوحيد، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وقد نصب حول بيت الله الحرام ٣٦٠ صنمًا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاث مائة نُصُب فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (الإسراء: ٨١)، «جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ» (سبأ: ٤٩)، أخرجه البخاري (٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١).

وقد صوروا إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة شيخًا يستقسم بالأزلام إمعانًا في إضلال العباد حتى يظن الناس أن هذا هو ما بُعث به إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وصوروا صورة عيسى ابن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين، فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فوجد هذه الصور فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب وأمر بطمس تلك الصور، فطمست، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت، فوجد فيه صورة إبراهيم، وصورة مريم، فقال: أما لهم، فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، هذا إبراهيم مُصوَّر، فما له يستقسم» أخرجه البخاري (٣٣٥١).

وكما أحدثت الجاهلية في التوحيد أحدثت في هذا النسك فكانت صلاتهم وعبادتهم وطوافهم بالبيت مكاء وتصدية، قال الله تعالى: «[illegible]» (الأنفال: ٣٥)، فكانوا يظنون أن هذه عبادة عند البيت.

والمكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق.

وكان الكفار يطوفون بالبيت عرايا رجالاً ونساء إلا أن يعطيهم الحمس من أهل البيت ثيابًا، فإنهم كانوا يتحرجون عن دخولهم المسجد الحرام في ثيابهم التي أتوا فيها كل منكر.

قال في ذخيرة العقبى: ذكر ابن إسحاق أن قريشًا ابتدعت قبل الفيل، أو بعده ألا يطوف بالبيت أحد، ممن يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب أحدهم، فإن لم يجد طاف عريانًا، فإن خالف، وطاف بثيابه ألقاها اذا فرغ، ثم لم ينتفع بها، فجاء الإسلام، فهدم

ذلك كله.

وقد ظل هذا فيهم إلى العام التاسع من الهجرة حتى أبطل ذلك الإسلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمّره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل حجة الوداع، في رهط، يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

وقد كانوا يستعلنون بالشرك في طوافهم لفظًا كما يُضمرونه اعتقادًا؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك.

قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلكم، قد قد.

فيقولون: إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت» أخرجه مسلم (١١٨٥).

ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلكم، قد قد: كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا.

وقيل: إن مما أحدثه أهل الجاهلية في الحج أنهم كانوا يحجون عامين في ذي القعدة ويسمونه حينئذ ذي الحجة، ويحجون عامين آخرين في ذي الحجة. (إكمال المعلم، للقاضي عياض ٥ / ٤٨٠).

ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان» أخرجه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

ومما أحدثه أهل الجاهلية في الحج حتى استقر في النفوس أنهم حرموا العمرة في أشهر الحج: (شوال، وذي القعدة وذي الحجة)، وكانوا يعدّونها من أفجر الفجور.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرًا، ويقولون: إذا برا الدبر وعفا الأثر، وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر.

ولمّا قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاظم ذلك عندهم، فقالوا: يا رسول الله أيّ الحل؟ قال: حل كله». أخرجه البخاري (١٠٨٥)، ومسلم (١٢٤٠).

ولذا تعجب الناس حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلوا في حجة الوداع اليوم الرابع من ذي الحجة بعدما طافوا وسعوا ويجعلونها عمرة.

وكان مما أحدثته قريش في الجاهلية أنهم كانوا لا يخرجون مع الناس إلى عرفة؛ لأنها من الحل، ويقفون بالمزدلفة، ويفيض الناس من عرفة، وهم يفيضون من المزدلفة، فأبطل ذلك الإسلام، فعن عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ناس، فسألوه عن الحج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة، فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع، فقد تم حجه» أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩) و(٨٩٠) و(٢٩٧٥)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه عقب الحديث (٣٠١٥).

وأنزل الله تعالى قوله: «فإذا أفضتم من [illegible] واستغفروا الله [illegible]» (البقرة: ١٩٨، ١٩٩).

إذا عرفت هذا أدركت أن الحج كان مشروعًا من أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأن الجاهلية قد أحدثت فيه ما أحدثت.

وقد حج النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فقيل حج حجتين، وقيل: بل حج كل عام حتى هاجر إلى المدينة.

وقد أجمع أهل الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم حج حجة واحدة بعد هجرته سميت: حجة الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها.

وسميت حجة البلاغ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ أهل الإسلام فيها شرع الله في الحج قولاً وفعلاً.

وسميت حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وعلى

ما يبدو أن هذه التسمية كانت بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: «كنا نتحدث بحجة الوداع، ولا ندري أنه الوداع من رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه البخاري (٤٤٠٣)، ومسلم (١٢٠).

وقد وجّه النبي صلى الله عليه وسلم أمّته إلى أخذ أحكام المنسك منها وحدها، وأن يذروا ما أحدثته الجاهلية في النسك، فكان يقول لأصحابه رضي الله عنهم: «لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري، لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وابو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٣٠٦٢).

وقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذه الحجة ثلاث عمرات:

الأولى: عام الحديبية في ذي القعدة من عام: ست من الهجرة إذ صده المشركون عن البيت.

والثانية: عام القضية من العام المقبل عام: سبع في ذي القعدة آمنًا هو وأصحابه.

ثم اعتمر الثالثة: في ذي القعدة من سنة ثمان. «المقدمات الممهدات، لأبي الوليد بن رشد الجد ١/ ٤٠٠».

وقد اتفقوا على أن الحج قد أقامه أهل الإسلام قبل هذه الحجة مرتين:

الأولى: في العام الثامن للهجرة حين استخلف عتاب بن أسيد أميرًا على أهل مكة بعد الفتح، فأقام الناس الحج سنة ثمان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عتاب بن أسيد أمير مكة هو أمير الحج في هذا العام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيمًا بالمدينة هو وأزواجه وعامة أصحابه.

الثانية: في العام التاسع للهجرة حين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وانصرف عنها قبل الحج، فبعث أبا بكر رضي الله تعالى عنهما أميرًا للحج، فأقام الناس الحج سنة تسع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأزواجه وعامة أصحابه قادرين على الحج غير مشتغلين بقتال ولا غيره وهم مقيمون في المدينة.

وفي هذا العام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنين يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

لكن اختلف الناس بعد ذلك متى فرض الحج؟

فقيل: فرض في العام العاشر حين دخل عليه ذو القعدة فتجهز للحج وأمر الناس بالحج، وقال النبي صلى الله عليه وسلم للناس: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا» أخرجه مسلم (١٣٣٧).

وخرج لخمس بقين من ذي القعدة، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، وقيل: سباع بن عرفطة الغفاري. (المقدمات الممهدات، لأبي الوليد بن رشد الجد ٣ / ٣٠٧، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني ٣ /٦).

وقيل: في العام التاسع للهجرة وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة. (ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم ٢/ ٣٣٣، ورد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين ٢/ ٤٥٥، والجامع لمسائل المدونة، لابن يونس ٣٨١/٤، ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب ٢/ ٤٧٣، والإنصاف في معرفة الراجح الخلاف ٣٨٧/٣، والفروع، لابن مفلح ٥/ ٢٠١).

وقيل فرض: سنة خمس أو ست لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول الشافعية. (روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي ١٠/ ٢٠٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني ٣ /٦، كفاية النبيه في شرح التنبيه، لابن الرفعة ٧ / ٥٧، ١٦/ ٣٤٥، بحر المذهب، للروياني ١ / ٣٧٢، المجموع شرح المهذب ٧/ ١٠٤، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري ٤/ ١٧٥).

وفائدة معرفة تاريخ المشروعية -بعد الاتفاق على ما سبق- هي النظر في حكم وجوب الحج: أهو على الفورية أم على التراخي، وهي مسألة تحتاج لبسط.

هذا ما يسره الله تعالى في تلك العجالة، والله أعلى وأعلم وأحكم.

أنواع الطلاق وعِدد النساء

بقلم / المستشار/احمد السيد علي ابراهيم
نائب رئيس قضايا الدولة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه. ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. واشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اما بعد: فقد امتن الله على عباده بان خلق لهم من انفسهم ازواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة. ولا شك ان الاسرة هى اللبنة الاولى من لبنات المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع. وقد تعتريها المشكلات. فمنها من تصمد امامها. ومنها من تعصفه رياحها. فتقضى عليها. ولم يتركها الشارع الحكيم سدى لاهواء اصحابها بل شرع لها الطلاق لإنهائها. وسمى سورة من سور القرآن باسمه. وكثير من الناس لا يعلمون انواع الطلاق وعدد النساء. فاحببت ان اضع بين ايديهم هذا التفصيل لهما:

اولا: تعريف الطلاق وانواعه:

أ- تعريف الطلاق:

الطلاق لغة: هو مصدر طلقت المرأة وطلقت تطلُق طلاقًا فهي طالق، ويدل على الترك والارسال والفراق والتخلية. قال الراغب الاصفهاني فى «مفردات غريب القرآن»: «أصل الطلاق التخلية من الوثاق، يقال أطلقت البعير من عقاله وهو طالق وطلق، ومنه استعير: طلقت المرأة نحو خليتها، فهي طالق» اهـ.

الطلاق اصطلاحًا:

عرفه الفقهاء بأنه: "رفع قيد النكاح في الحال أو المآل"، والمقصود بالحال هو الطلاق البائن والمآل الطلاق الرجعي.

ب- أنواع الطلاق:

ينقسم الطلاق إلى طلاق رجعى، وطلاق بائن، والطلاق البائن ينقسم إلى قسمين: طلاق بائن بينونة صغرى، وطلاق بائن

بينونة كبرى، وذلك على النحو الآتي:

١ - الطلاق الرجعي:

أ- تعريف الطلاق الرجعي:

لغة: نسبة الى الرجعة من الفعل " ر ج ع " ورجعة ردّه، وارتجعَ إليه ارتدَها، والرجعة اسم من رجع رجوعًا، ورجعة ولو على امرأته رجعة ورجعة بكسر الراء وفتحها والفتح أفصح ومنها الطلاق الرجعي

هو الطلاق الذي يملك فيه الزوج الحق في أن يعيد الزوجة إلى عصمته ثانية بغير عقد ولا مهر جديدين. فإذا كانت من ذوات الحيض فله أن يعيدها إلى عصمته قبل انقضاء الحيضة الثالثة، وإن كانت لا تحيض، أو انقطع حيضها، يعيدها قبل انقضاء ثلاثة أشهر هجرية.

ب- الدليل عليه:

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: [illegible] (البقرة: ٢٢٨).

ب- قوله تعالى: [illegible] (البقرة: ٢٢٩).

وجه الدلالة: أنَّ الله تعالى أخبَرَ أنَّ من طلَّق طلقتَين فله الإمساكُ، وهو الرُّجعة، وله التَّسريحُ، وهي الثالثة.

ثانيًا: من السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه طلَّق امرأتَه وهي حائضٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عُمرُ بنُ الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْهُ فليراجعها، ثمَّ ليتركها حتى تطهر، ثمَّ تحيض، ثمَّ تطهر، ثمَّ إنْ شاء أمسك بعدُ، وإنْ شاء طلَّق قبل أنْ يَمسَّ، فتلك العدَّةُ التي أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يُطلَّق لها النِّساء». (رواه مسلم).

وجه الدلالة: قوله: «مره فليراجعها» دليل على الرجعة.

ثالثًا: من الإجماع:

نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ المُنذر، والغزاليُّ، وابنُ تيميَّة.

٢- الطلاق البائن:

أ- تعريف الطلاق البائن:

تعريفه لغة: أصل كلمة بائن من البون: أي البُعد. يُقال: بان الشخص يبون بونًا، أي بعُد بعد قربه، وفعل الأمر منها: بِنْ، والمفعول مبينٌ عنه. كما يُقال: بانت الفتاةُ إذا تزوّجتْ، وبان الشخصُ: أي بعُد عن الشيء أو الشخص وانقطع عنه، وبانت المرأة عن زوجها إذا فارقته بالطَّلاق وانتهت عدتها.

تعريفه اصطلاحًا: هو الطلاق الذي يُنهي رابطة الزوجية بين الزوجين حالاً دون انتظار عدة، أو هو الطلاق الذي لا يملك الزوج معه أن يُرجع زوجته إلى عصمته وعقد نكاحه إلا بعقدٍ جديد ومهرٍ جديد وبعد أن يأخذ موافقتها على ذلك.

ب- أنواع الطلاق البائن: ينقسم الطلاق البائن إلى نوعين:

الطلاق البائن بينونة صغرى:

أ- تعريفه: هو ذلك الطلاق الذي لا يُنهي الحياة الزوجية بشكلٍ قطعي فيمكن للزوج بعده أن يُرجع زوجتَه إلى عصمته وعقد نكاحه بموجب عقدٍ جديد ومهرٍ جديد وبعد أن توافق الزوجةُ على أن ترجعَ لزوجها.

ب- حالاته: ويكون الطلاق بائنا بينونة صغرى في الحالات الآتية:

أ- الطلاق قبل الدخول:

دليله: قال تعالى: [illegible] (الأحزاب: ٤٩).

وجه الدلالة: قوله تعالى (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) فإذا لم يكن لها عدة فلن يستطيع أن يعيدها فيها، ومن ثم إذا أراد مراجعتها فعليه أن يعقد عليها من جديد، وبمهر جديد.

ب- انقضاء عدة المطلقة رجعيًا:

فإذا طلّق الزوج زوجته طلقةً رجعية ثم انتظرت مدة العدة حتى انقضت ولم يُرجعها إلى عصمته وعقد نكاحه ينتقل الطلاق من رجعي إلى بائنٍ ببينونة صغرى، وهذا الأمر ينطبقَ على الطلاق الرجعي الأول والثاني، وفي هاتين الطلقتين يجوز للرجل إرجاع زوجته إلى عصمته بعقدٍ ومهرٍ جديدين وبعد أخذ موافقتها.

دليله: قال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَـ [illegible] فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا [illegible] بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ [illegible] الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ [illegible] (البقرة: ٢٣٢).

وجه الدلالة: قوله: (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) يدل على أنه يجوز للأزواج أن يعيدوا زوجاتهم إلى عصمتهم مرة ثانية بنكاحهن أي بالعقد عليهن من جديد وبمهر جديد.

ج – الطلاق على مال:

وهو أن تطلب الزوجة من زوجها أن يُطلّقها أو أن يفسخ عقد زواجه منها لقاء تنازلها عن مهرها أو افتدائها نفسها بمالٍ تعطيه له، فإن قبل الزوج بذلك أو طلبت الزوجة من القاضي أن يخلعها من زوجها وردت له مهرها الذي قبضته وافتدت نفسها طلقها القاضي منه. ويكون الطلاق بينهما بائناً بينونةً صغرى، ولا يجوز له أن يُرجعها في العدة ولا بعدها إلا بعقد جديد ويعطيها مهراً جديداً، وبعد أن توافق هي على الرجعة إليه.

دليله: قال تعالى: «[illegible] يُقِيمَا حُدُودَ [illegible] (البقرة: ٢٢٩).

وجهُ الدلالة: أنَّ الله سُبحانه وتعالى ذكر الطلاقَ بغيرِ عوضٍ وشرع معه الرَّجعة، ثمَّ ذكر الطلاقَ بعوضٍ ولم يذكرْ بعده رجعةً، وأيضًا جعله فديةً. والفديةُ خلاصُ النَّاس، ولا خلاص مع سلطنة الرَّجعة.

٣- الطلاق البائن بينونة كبرى:

وهذا النوع من الطلاق يُزيل الحياة الزوجية بين الزوجين فوراً، فيُزيل ملك الزوجيَة عن الزوج، كما يُزيل عنه حلَ الزوجية، ولا يجوز للزوج إرجاع زوجته في هذه الحالة نهائياً إلا أن تنكح زوجاً آخر غيره ويدخل بها الثاني دخولاً صحيحاً ثم يموت عنها أو يطلقها دون اتفاقٍ بينهما على ذلك وتنتهي عدتها منه، ويكون الطلاق البائن بينونةً صغرى بأن يطلق الزوج زوجته طلقةً رجعيةً أو قبل الدخول، ثم يُرجعها إلى عصمته، ثم يطلقها، ثم يُراجعها مرة أخرى، ثم يطلقها، فيكون الطلاق الأخير هو الطلاق البائن بينونة كبرى.

دليله: من القرآن الكريم

قال تعالى: [illegible] (البقرة ٢٢٩- ٢٣٠).

من السنة النبوية:

عن عروةَ عن عائشة أنَّه سمعها تقولُ: «جاءتْ امرأةُ رفاعة القُرظيِّ إلى رسول الله صلَى الله عليه وسلَم فقالت: إنّي كنتُ عند رفاعة فبتَّ طلاقي فتزوّجتُ عبد الرّحمن بن الزُّبير وإنَّما معه مثل هُدبة الثَّوب، فتبسَّم رسولُ الله صلَى الله عليه وسلَم فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتَّى تذوقي عُسيلتَهُ ويذوق عُسيلتك» (رواه ابن عبد البر في التمهيد).

وجه الدلالة: بيّن لها صلَى الله عليه وسلم أنَّـه إن كـان الأمـرُ كما يـقـولُ زوجُـها عبدُ الرّحمن رضي الله عنه فإنّها لا تحلّ- أو لا تصلُح- لرفاعة زوجها السّابق، حتّى يذوق عبدُ الرحمن زوجُك من عُسيلتك: فشبّه لذّة الجماع بذوق العُسيلة، مُشتقّة من العسل.

ثانيا: عدد النساء:

أ- تعريف العدة:

العدّةُ لغةً: تربُّصُ المرأة المُدّة الواجبة عليها، مأخوذٌ من العدِّ والحساب، وسُمِّي زمانُ

التربُّص عدةً؛ لأنّها تعُدُّه. وأصلُ (عدد)؛ يدلُّ على الإحصاء. يُقالُ: عددتُ الشيء، أي: أحصيتُه.

العدّةُ شرعًا: اسمُ لمدّة تتربّصُ فيها المرأةُ عن التزويج بعد وفاة زوجها أو فراقه لها: إمّا بالولادة، أو بالأقراء، أو الأشهر.

ب – انواع العدد:

١- ثلاثة قروء:

دليله: قال تعالى: « وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَ[illegible] بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ » (البقرة: ٢٢٨)؛ والقرء يقصد به الطهر، أو الحيض. والصحيح أنه الحيض. فعن سُفيان بن عُيينة عن أيوب عن سُليمان بن يسار عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال في المُستحاضة: «تدعُ الصلاة أيام أقرائها». وعن فاطمة بنت أبي حُبيش أنها سألتْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم فشكتْ إليه الدم فقال لها رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنّما ذلك عرقٌ فانظري فإذا أتى قرؤكِ فلا تُصلّي وإذا مرّ صلّي ما بين القرء إلى القرء» (رواه أبو داود بإسناد صحيح). فذكر فيه لفظ القرء أربع مرات في كلّ ذلك يُريدُ به الحيض لا الطُهر.

٢- ثلاث أشهر:

بالنسبة لمن لم تحض من النساء، أو التي انقطع حيضها تنقضي عدتها بمضي ثلاثة أشهر.

قال تعالى: « وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ [illegible] » (الطلاق: ٤).

٣- وضع الحمل:

عدة المرأة الحامل تنقضي بوضع حملها، فقد تمكث تسعة أشهر إن طلقها في بداية الحمل، وقد تمكث لحظة واحدة إن طلقها ثم وضعت جنينها.

دليله: قال تعالى: « وَأُولَٰتُ [illegible] أَجَلُهُنَّ [illegible] يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ [illegible] » (الطلاق: ٤).

٤- أربعة أشهر وعشرة أيام:

وهي عدة المتوفى عنها زوجها. قال تعالى: « [illegible] مِنكُمْ [illegible] أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » (البقرة: ٢٣٤).

كيف تعتد المطلقة رجعيًا، إذا توفي عنها زوجها:

إذا طلقت المرأة رجعيًا، وانقضت عدتها، ثم توفي عنها زوجها، فلا شيء عليها، أما إذا لم تنقض عدتها، ثم مات زوجها، فعليها أن تعتد عدة المتوفى عنها زوجها. جاء في الموسوعة الفقهية: «متى يجوز للمعتدة بوضع الحمل الزواج: بالوضع أم بالطهر؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء، وأئمة الفتوى إلى أن المرأة تتزوج بعد وضع الحمل، حتى وإن كانت في دمها؛ لأن العدة تنقضي بوضع الحمل كله، فتحل للأزواج، إلا أن زوجها لا يقربها حتى تطهر؛ لقوله تعالى: « وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ » (البقرة: ٢٢٢).

القول الثاني: ذهب الحسن، الشعبي، والنخعي، وحماد إلى أنه لا تنكح النفساء ما دامت في دم نفسها؛ لما ورد في الحديث «فلمّا تعلت من نفاسها، تجمّلت للخُطاب» (رواه البخاري) ومعنى تعلت: يعني طهرت.» اهـ.

حكم المطلقة قبل الدخول:

إذا عقد الرجل على المرأة وطلقها قبل الدخول بها فليس لها عدة. قال تعالى: « [illegible] تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا » (الأحزاب: ٤٩).

عدة المرأة المختلعة:

اختلف أهل العلم في عدتها على رأيين:

الأول: يرى أن الخلع طلاق، فتعتد عدة المطلقة، كما سبق بيانه.

الثاني: يرى أن الخلع فسخ للزواج، فتنقضي عدتها باستبرائها بحيضة واحدة فقط.

والحمد لله رب العالمين.

السنة النبوية ودورها في صيانة الروابط الاجتماعية

[illegible] كل خير وسعادة للبشرية جميعاً [illegible]

[illegible]

كانت عمدة هذا المجتمع الجديد [illegible]

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وحياته وسيرته وأخلاقه.

ثالثا: تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاداته وتوجيهاته وأعماله والتي يسمى مجموعها بالسنة النبوية.

تعاضدت هذه العوامل الثلاثة في تحقيق الأغراض والفوائد المنشودة من البعثة، وأوجدت أمة مثالية وحياة متكاملة، وهيكلا اجتماعيًا تتجلى فيه العقائد والأعمال والأخلاق والسلوكيات والعواطف والرغبات والميول والأذواق والأواصر والعلاقات، وشكلت بمجموعها الذوق الإسلامي الممتاز الذي لا يقتصر على التقيد الرسمي بالقواعد المقررة والضوابط المرسومة وإنما كان مشحونا بالحوافز والدوافع الفطرية والكيفيات العملية وروح العبادة الخالصة ويتسم بالمشاعر اللطيفة والأحاسيس الرقيقة ومكارم الأخلاق ودقائق الأدب.

فهذا القرآن الكريم يأمر بإقامة الصلاة ويلهج بذكره ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢).

ولكنهم لم يتوصلوا إلى كيفيتها الصحيحة إلا حينما صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلا وشاهدوا هيئة قيامه وركوعه وسجوده وقراءته وذكره وحركاته وسكناته وجهره وسره الأمر الذي عبروا عنه بقولهم: "وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء". حديث صحيح: رواه أبو داود، والترمذي في الشمائل بإسناد صحيح.

وكذلك لم يقرروا الشغف بالصلاة والرغبة فيها إلا عندما سمعوا لسان النبوة يقول: "وجُعلت قرة عيني في الصلاة". رواه النسائي. ويقول بلهجة المحب الهائم لمؤذنه: "يا بلال أقم الصلاة، وأرحنا بها". صحيح أبي داود.

لم يتمكنوا حقًا من إدراك عمق الصلة بين المسجد وقلب المؤمن حتى سمعوه يقول في شأن الصالحين السبعة الذين يظلهم تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله: "ورجل قلبه معلق بالمساجد". صحيح مسلم.

ويأتي الترغيب القرآني في الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله مرة بعد أخرى، ويلوم ويعاقب الذين يستكبرون عن الدعاء، والصحابة يسمعون قوله تعالى يتلى عليهم: ﴿[illegible]﴾ (غافر: ٦٠).

ولكنهم في ذات الأمر لم يكتنهوا حقيقة الدعاء مع معرفتهم بمعنى الدعاء ومفهوم التضرع والابتهال إلا عندما شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بدر وقد وضع جبهته على الأرض: "اللهم انشد عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد". صحيح البخاري.

وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم وسمعوا القرآن الكريم يقرر أن الدنيا ظل زائل وأن الآخرة وعد صادق كانوا يحفظون قول الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤).

ولكنهم تعرفوا عن كثب- لا عن كتب- حقيقة الدنيا والتفسير العملى الواقعى لهذه الحقيقة من حياته صلى الله عليه وسلم وأساليب معيشته ومعاشرته لأهل بيته في جميع النظم الأسرية.

وما نشأ فيهم الخوف والرجاء، والشوق إلى الجنة ونعيمها، والخوف من جهنم وشدائدها الا بترغيبه وتشويقه، وتخويفه وترهيبه ومشاعره صلى الله عليه وسلم الجياشة وعواطفه الحارة.

ولقد كانوا في واقعهم كأهل لغة نزل بها القرآن يعرفون معنى أمثال كلمات الرحمة والتواضع والرفق وغيرها مما ورد ذكره كثيرا في القرآن، وما تؤول إليه هذه المصطلحات من توجيهات وتعليمات إلا أنهم لم يعرفوا مدى سعة هذه الكلمات وطريق تطبيقها في الحياة العملية والعمل بها في واقع الحياة عملا صحيحا إلا عندما شاهدوا وشهدوا أن النبي صلى الله عليه يعامل الضعفاء والعجزة والأطفال والنساء واليتامى والفقراء والشيوخ وعامة رفاقه وأصحابه وخدمه وأهل بيته وسمعوا في ذلك أقواله ووصاياه.

وعرف الصحابة كذلك الأوامر القرآنية في أداء حقوق المسلمين عامتهم وخاصتهم لكن أشكالاً وصورًا كثيرة لهذه الحقيقة قد لا تخطر على بال كثير من الناس مثل عيادة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنائز وكيفية

السلام ورد السلام والمصافحة والمعانقة، ولو خطرت ما عرفوا لها قيمة.

تعاليم قرآنية وتطبيقات نبوية:

وهناك روابط اجتماعية كثيرة حفلت بها ايات القران الكريم كالشورى والعدالة الاجتماعية ومعاملة المرأة وتحرير الرقيق وغيرها من الروابط الاجتماعية التى صاغها كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ووضعا أسسها وقواعدها وأحكامها وبينا فضائلها.

ولو أحسنا فهم هذه الأسس وتفسيرها لشكلت نظامًا رائعًا صالحًا للناس جميعا في مختلف الأزمنة والأمانة. ولضمنت لهم السعادة كل السعادة وحسبك ان تتبصر القرآن وترى أسلوبه في تربية الفرد فإنه ربطه بخالقه عن طريق العبادات وربطه بالمخلوق عن طريق الأخوة التي أوجبها الله على المسلمين.

كما نظم أمور الأسرة وشؤون المجتمع، وأقام الإسلام مجتمعا سياسيًا على نظام الشورى الحقيقية، وأقام مجتمعا اقتصاديًا على أساس العدالة الاجتماعية، وأقام مجتمعًا اجتماعيًا على أساس المساواة، ونجد القران الكريم يربط المجتمع الإسلامى بالمجتمعات الأخرى على أسس متوازنة وحكيمة من العلاقات الدولية في حالتي السلم والحرب.

ولقد جاءت في القران الكريم تعاليم مؤكدة فيما يتعلق بالإحسان وحسن السلوك مع أهل الحقوق، والبر بالوالدين، وصلة الأرحام، ولكن الحقيقة الفعلية لتنفيذ هذه التعاليم والميدان العملى لها كان في أفعاله متمثلاً. وفى خصاله ثابتًا حتى وصل إلى أرقى دراجات الإحسان ووصلوا معه كذلك. فلقد تحصلوا على هذه الصفات من خلاله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً.

لهذا فإن مجرد الأوامر والنواهى لا تكون مناخًا طبيعيًا لحياة الإنسان ما لم تكن هناك البيئة المناسبة لصيانة جوهر الأوامر والنواهى وروحها، ويستقيم مزاج الفرد والجماعة في إعمال هذه الأوامر والنواهى إعمالا يجعل كل الحركات والسكنات مؤثرة في الحياة الطبيعة لكل أفراد المجتمع، والواقع أن وقائع الحياة النبوية المباركة والارشادات التفصيلية لكل الجزئيات العملية هى التى خلقت ذلك الجو الذي تخضر فيه شجرة الدين وتورق بها وتثمر وتمتد إلى سائر بقاع الدنيا آثارها واشعاعاتها، وخير مجموعة موثوق بها لهذه العواطف والواقع والأمثلة العملية هى مجموعة الأقوال والأفعال والتقريرات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله النبي القرشى الكريم في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، والتى أصبحت من خصائص الأمة الإسلامية التى لا يشاركها فيها أمة من أمم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وأصحاب ديانة من الديانات السماوية التى لا يزال بقايا أتباعها والمنتمين إليها على اختلاف مستوياتهم وأنواعهم على وجه الأرض.

إن نظرة عاجلة في كتب السنة النبوية المباركة لباحث عادي غير متخصص تسهل عليه معرفة وصدق ما قلناه من أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في إجمالها وجزئياتها، بل ودقائقها كانت النموذج الأعلى لتكوين المناخ الإسلامي والبيئة الراقية التى لا نظير لها في التاريخ البشرى، وكذلك يستطيع الباحثون فضلا عن الدعاة والمصلحين أن يزنوا أعمال الأمة الإسلامية واتجاهاتها بميزان عادل هو ميزان السنة النبوية المطهرة. فكلما كانت الأمة متمسكة بالسنة النبوية المشرفة كلما كانت لها العزة في هذا الوجود والسيادة والقيادة للأمم، وكلما تخلفت عن ركب السنة وانحرفت فإن الواقع ينحرف ويتغير وليس ذلك مقيدًا بزمان أو مكان وانما هو واقع حادث في كل زمان ومكان وأيضًا السنة النبوية ميزان بمعنى آخر، وهو أن يجعل الأمم منضبطة فلا إفراط ولا تفريط ولا مغالاة أو تهوين وانما هو التوسط والاعتدال في كل أمور الحياة.

ثم إن السنة النبوية وهى كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، زاخرة بالحياة القوة والتأثير وهى عوامل تبعث على الإصلاح والتجديد ولم تزل باعثا على محاربة الفساد البدع والتبعية لأصحاب الأهواء من الغربيين والشرقيين والملاحدة الممقوتين الماكرين، ولم تزل تظهر بتأثيرها في كل عصر أو بلد تنصر

راية من يرفع راية الإصلاح والتجديد ويحارب البدع والخرافات والعادات الجاهلية والمعتقدات الوثنية القديمة التي يتم بعثها مجدد في زماننا المعاصر.

إن السنة النبوية تدعو إلى التوحيد الخالص والدين القيم، لذلك كله كانت السنة النبوية من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لابد من كتابتها وجمعها وتسجيلها وحفظها ونشرها.

مصادر الإصلاح الضرورية المهمة:

إن كتب السنة النبوية المطهرة مصدر من مصادر التجديد والتفكير الإسلامي الصحيح في الأمة الإسلامية تلقى منه المصلحون في عصورهم العلم الديني الصحيح والفكر الإسلامي النقي واحتجوا بأحاديثه واستندوا إليها في دعوتهم الإصلاحية وحربهم للبدع والفتن والمفاسد. ولا يستطيع احد في ميدان الدعوة إلى الله تعالى أن يستغنى بحال عن الحديث الشريف في دعوته لإرجاع المسلمين في عصره الى الدين الخالص والإسلام الكامل، ليوجد صلة بينهم وبين الحياة النبوية الحسنة الكاملة. ومع أهل الدعوة والإصلاح نقرن أهل الفقه والفتوى فإن الحديث الشريف هو المرجع العريض الواسع بعد القران الكريم يستطيعون الاعتماد عليه لملاحظة تطورات العصور والأزمنة والتكيف مع الحضارات والشعوب وكذا استنباط الأحكام الجديدة الطارئة التي لم يدون فيها الأوائل من الفقهاء شيء.

والتاريخ خير شاهد على تأثير الحديث الشريف في ميدان الإصلاح والتجديد فما عرف التاريخ حاكما مصلحًا ولا أمير صالحًا أو سلطانًا عادلًا وكذا عالمًا مربيًا أو داعيًا مخلصًا فعالاً أو تماسكا للبنيان الاجتماعي في الأمة إلا وكانت البيئة الحديثة هي العامل الرئيسي في ذلك. وهكذا كان علماء السنة والدعاة إليها على مر التأريخ، فهذا عمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، والشافعي، وابن حنبل، وغيرهم، ممن لا يحصون من الأمراء والأمة والدعاة، حتى هذا الزمان الذي أنجبت فيه الأمة المصلح الكبير المحدث الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي شارح سنن أبي داود، والداعي إلى السنة والمحارب للبدعة، فتاب على يديه واهتدى بجهوده- بعد فضل الله- أعداد لا تحصى، سواء كانت نسبتهم للجمعية الشرعية التي أسسها، أو إلى غيرها، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤).

وأختم بأن الجو الذي كونه الحديث الشريف، سواء كان ذلك بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، أو بتوجيهاته وإرشاداته قد ملأ الأمة بالنماذج الصالحة التي يمكن أن يسير المسلم في أي زمان ومكان على منوالها، فالمجتمع الإسلامي الأول بألوانه المختلفة والحياة في القرن الأول بحقائقها المتنوعة كانت وما زالت مرآة لكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها يرى فيها حسناته ويراجع فيها سقطاته، وبقاء صورة العهد النبوي بجانب القرآن الكريم مسجلة، وبقاء حديث صاحب النبوة صلى الله عليه وسلم خير دليل على إمكانية عودة هذه الأمة إلى السيادة والقيادة وتكوين مجتمع مثالي صالح يقتدي به الناس ويجدون فيه الدين الكامل والإسلام الصحيح ويعايشون واقعا حسنا يكون سببا لسعادتهم في الدنيا والآخرة.

إن الطاعنين في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتخرصين بالباطل حول طرق جمعها وعلومها ورجالها، لا يبغون من وراء ذلك سوى هدم الإسلام وتدمير بنيان المجتمعات الإسلامية وتقويض عمادها، وتضييع مستقبلها بتشويه تاريخها الزاخر بالمعرفة والعلوم والنظم والقواعد والأحكام الدالة على أنها أمة متفردة ومتميزة بين الأمم البشرية بمقومات ذاتية تجعلها قادرة على النهوض والبناء والعمل والتمكين في الأرض وتستطيع هدم الواقع المؤلم الذي تعيش فيه، وإعادة بناءه وإعماره من جديد على أساس مبادئ رسالة الإسلام الخالدة مهما كانت العوائق والعقبات، ومهما تكالب عليها الأعداء وأحاطت بها النوازل والشدائد والنكبات.

والله من وراء القصد.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاستقامة في اتباع القرآن والسُّنّة

قال تعالى: «وأن هذا صراطي [illegible]

(الأنعام: ١٥٣).

من فضائل الصحابة

عن أيوب السختياني رحمه الله قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم ابن محمد وسليمان وغيرهما، فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان". (السُّنّة للخلال).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلح بين المتخاصمين

عن سهل بن سعد رضي الله عنهما أنّ أهل قباء اقتتلوا حتّى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك. فقال: «اذهبوا بنا نُصلح بينهم" (صحيح البخاري).

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يُبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: "إنما يتقبل الله من المتقين". (كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا).

من قول [illegible]

كان الامام الشافعي رحمه الله يقول: "اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت. (صفة الصفوة).

[illegible]

خلق حسن فالزمه

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الاشعري-رضي الله عنهما-: ، أما بعد. فإن الخير كله في الرضى. فإن استطعت أن ترضى والا فاصبر.

(مدارج السالكين).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن انس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فقلت: يا رسول الله. امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم. ان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف شاء. (صحيح الترمذي: ٢١٤٠).

من دلائل [illegible]

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي. فسالتني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها. فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء الا انبأتهم به.

(صحيح مسلم: ١٧٢).

خلق سيئ فاحذره

قال علي رضي الله عنه:

"أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع".

(نضرة النعيم).

من حكمه الشعر

[illegible]

دع عنك ما قد كان في زمن الصبا... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

واذكر مناقشة الحساب فانه ... لا بد يحصى ما جنيت ويكتب.

نضرة النعيم

المعازف

كتبه/ د. [illegible]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، أما بعد:

فقد تكلمت في الحلقات السابقة عن تعريف المعازف والأحاديث التي وردت فيها، وخاصة من السند، وتوجيه الحديث حديث هشام بن عمار عن المعازف في صحيح البخاري سندا ومتنا، وعن بعض الشبهات التي ترد حول المعازف في نقاط كالتالي:

١- القول بعدم الاتفاق على معنى كلمة المعازف.

٢- القول بضعف دلالة الاقتران.

٣- القول أن الاستحلال هو اعتقاد حل ما حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- القول أن التحريم في الحديث لاجتماع المذكورات الاربعة فيه (الحر، والحرير، والخمر، والمعازف).

٥- القول بان الوعيد-في الحديث- على شرب الخمر، والمعازف تابعة له.

٦- القول بان الدف من المعازف، وقد جوزه المشرع، وهذا يعارض حرمة المعازف.

٧- القول بان المشرع اباح الغناء للنساء، وغناؤهن أشد تاثيرا في النفس من المعازف.

٨- القول بان الاصل في الاشياء الإباحة، والمعازف من ذلك.

٩- القول بأنه لم يكن من المعازف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الدف فقط، ولذا جوزه النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠- القول بان الكلام عن المعازف هو مجرد إخبار عن علامات الساعة وليس تشريعا.

١١- القول بان النبي صلى الله عليه وسلم مدح صوت أبي موسى الاشعري رضى الله عنه في قراءة القران، وقال له: "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود"، ولو كان المزمار حراما ما شبّه به النبي صلى الله عليه وسلم تلاوة القران.

١٢- القول بأن فريقاً من السلف يميل إلى الاستماع كالحسن البصري، وفريقاً لا يميل إليه كالشعبي.

١٣- القول بان المعازف حلال ما لم تثر الغريزة الجنسية.

١٤- القول بجواز الغناء والمعازف، استدلالا من حديث عائشة رضي الله عنها عن غناء جاريتين من الانصار أمام النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥- الاستدلال من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصوت مزمار الراعي، على جواز المزمار.

واستانف-بإذن الله تعالى- الرد على شبهات المبيحين للمعازف:

١٦- عن بريدة الاسلمي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، فلما انصرف، جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا: فجعلت تضرب، فدخل ابو بكر رضي الله عنه وهي تضرب، ثم دخل عليّ رضي الله عنه وهي تضرب، ثم دخل عثمان رضي الله عنه وهي تضرب، ثم دخل عمر رضي الله عنه فألقت الدف تحت استها

(مؤخرتها)، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنِ الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف (رواه الترمذي وأحمد وغيره، صححه الألباني في الصحيحة ح١٦٠٩، ح ٢٢٦١، وقال الأرناؤوط في مسند أحمد: إسناده قوي).

يقول الشيخ الالباني: "من المعلوم أن الدف من المعازف المحرمة في الإسلام، والمتفق على تحريمها عند الائمة الأعلام كالفقهاء الاربعة وغيرهم.... ولا يحل منها إلا الدف وحده في العرس والعيدين، فإذا كان كذلك، فكيف أجاز النبي صلى الله عليه وسلم لها ان تفي بنذرها؟ ولا نذر في معصية الله تعالى؟

والجواب -والله أعلم-: لما كان نذرها مقرونا بفرحها بقدومه صلى الله عليه وسلم من الغزو سالما، ألحقه صلى الله عليه وسلم بالضرب على الدف في العرس والعيد، ومما لا شك فيه أن الفرح بسلامته صلى الله عليه وسلم اعظم- بما لا يقاس- من الفرح في العرس والعيد، ولذلك يبقى هذا الحكم خاصًا به صلى الله عليه وسلم لا يقاس به غيره، لانه من باب قياس الحدادين على الملائكة، كما يقول بعضهم، وقد ذكر هذا الجمع الإمام الخطابي في معالم السنن، والعلامة صديق حسن خان في الروضة الندية. (انظر السلسلة الصحيحة ٥/٢٣٢-٢٣٣).

يقول الخطابي: "ضرب الدف ليس مما يعد في باب الطاعات التي يعلق بها النذور وأحسن حاله أن يكون من باب المباح، غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة من بعض غزواته، وكانت فيه مساءة الكفار وإرغام المنافقين، صار فعله كبعض القرب التي من نوافل الطاعات، ولهذا أبيح ضرب الدف واستحب في النكاح لما فيه من الاشاعة بذكره والخروج به عن معنى السفاح الذى هو استسرار به واستتار عن الناس فيه، والله أعلم (معالم السنن ٤/٦٠).

لذلك فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن نذر هذه المرأة وضربها بالدف واقعة عين مقصورة على الفرحِ بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم سالمًا من الغزو، خاصة أن هذه المرأة ضربت بالدف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحضور الصحابة، فتلك خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم (انظر السلسلة الصحيحة ح ١٦٠٩، انظر تحريم الات الطرب ص١٢٤).

- قلت: لو كان الضرب بالدف مكروهًا- فضلا عن يكون محرمًا- لما جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة أن توفي بنذرها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين (الترمذي وغيره، صححه الألباني في الإرواء ح ٢٥٩٠، والأرناؤوط في مسند أحمد ح٢٦٠٩٨).

أقوال الائمة الاربعة في المعازف:

أولاً: المذهب الحنفي: يرى علماء الحنفية حرمة الاستماع لآلات المعازف، ومذهب الحنفية في ذلك من أشد المذاهب.

يقول ابن القيم: مذهب ابي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب (آلة إيقاع عربية قديمة من المعدن يوقع عليه بأداة صلبة) وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة (إغاثة اللهفان ١/٤٠٥).

ويقول أبو بكر الرازي الحنفي: استماع الملاهي وسماع صوت الملاهي كلها حرام، فإن سمع بغتة فهو معذور، ثم يجتهد أن لا يسمع مهما أمكنه (انظر تحفة الملوك ص ٢٣٨، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٨/٢١٥، الدر المختار ص ٢٦٥).

ثانياً: المذهب المالكي: سئل الإمام مالك عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق.

وقال ابن القاسم: كان مالك يكره الدفاف والمعازف كلها في العرس، بل قال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية، كان له أن يردها بالعيب. (انظر: ابن الجوزي في تلبيس إبليس ٢٤٤، المدونة ٣/٣٩٨، إكمال المعلم ٣/٣٠٦).

ويقول ابن رشد المالكي: ولا يجوز تعمد حضور

شيء من اللهو واللعب ولا من الملاهي المُطربة كالطبل والزمر وما كان في معناه (انظر المقدمات الممهدات ٣/٤٦٢).

ثالثاً، المذهب الشافعي: وأما الملاهي فعلى ثلاثة أضرب، حرام ومكروه وحلال. فأما الحرام: فالعود والطنبور (آلة من الات العزف ذات عنق وأوتار)، والمعزفة والطبل والمزمار، وما ألهى بصوت مطرب إذا انفرد... وكان بعض أصحابنا يخص العود من بينها ولا يحرمه - وهذا لا وجه له، لأنه أكثر الملاهي طربًا، وأشغلها عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة...

وأما المكروه، فما زاد به الغناء طرباً، ولم يكن بانفراده مطرباً، كالقسح والقضيب، فيكره مع الغناء لزيادة إطرابه، ولا يكره إذا انفرد لعدم إطرابه، وأما المباح: فما خرج عن آلة الإطراب، إما إلى إنذار كالبوق، وطبل الحرب، أو لمجمع وإعلان كالدف في النكاح.......

ثم قال عن الدف في النكاح أنه بحسب أحوال الأماكن والأزمنة. فقال: فعم بعضهم الإطلاق وخص بعضهم في البلدان التي لا يتناكر أهلها في المناكح كالقرى والبوادي، ويكره في غيرها، في مثل زماننا، لأنه قد عدل به إلى السخف والسفاهة. (انظر الحاوي الكبير ١٧/١٩١-١٩٢).

ويقول النووي: أن يغني ببعض آلات الغناء مما هو من شعار شاربي الخمر، وهو مطرب كالطنبور والعود والصنج، وسائر المعازف والأوتار فيحرم استعماله، والسماع إليه.

وابن الصلاح (الشافعي): لما سُئل عن رجل مُصرّ على استماع المعازف فيجيب:... وهذا السماع المعتاد حرام غليظ عند العلماء، وسائر من يُقتدى به في أمور الدين، ومن نسب حاله إلى مذهب الشافعي أو أحد من أئمة الصحابة - رضي الله عنه وعنهم- فقد قال باطلاً. (انظر روضة الطالبين ١١/٢٢٨، الشرح الكبير للرافعي ١٣/١٥، فتاوى ابن الصلاح ٢/٤٩٨).

رابعًا، المذهب الحنبلي: يقول ابن قدامة: فصل في الملاهي، وهي على ثلاثة أضرب، محرم، وهو ضرب الاوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها، فمن أدام استماعها ردت شهادته... وضرب مباح وهو الدف.. وذكر أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه مكروه في غير النكاح... ثم رجح القول بالجواز في غير النكاح كالأعياد والعودة من السفر... وأما الضرب (بالدف) به للرجال فمكروه على كل حال (انظر المغني لابن قدامة ١٤/١٥٧-١٦٠).

ويقول ابن مفلح الحنبلي: يحرم مزمار وطنبور ونحوهما، نص عليه. فمن أدام استعمالها ردت شهادته وكذا عود وجنك (المبدع في شرح المقنع ٨/٣١١).

وقد نقلت أولاً أقوال المذاهب الأربعة في المعازف؛ لأن هناك من يقول إن المذاهب الفقهية الأربعة منهم يجيز المعازف.

بل قد نقل الإجماع على تحريم المعازف أكثر من واحد من أهل العلم، على سبيل المثال: أبو العباس القرطبي المالكي:

أما المزامير والأوتار والكوبة -وهو طبل طويل ضيق الوسط ذو رأسين - فلا يُختلف في تحريم سماعه، ولم أسمع عن أحد ممن يُعتبر قوله من السلف وأئمة الخلف من يبيح ذلك (انظر كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ص ٧٢).

وابن الصلاح الشافعي: فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يُعتد بقوله في الإجماع والخلاف أنه أباح هذا السماع. والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردا، والدف منفردًا. فمن لا يتأمل ربما اعتقد فيه خلافا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي، وذلك وهم، فإذن هذا السماع غير مباح بإجماع أهل الحل والعقد من المسلمين (انظر مجموع رسائل ابن رجب ٢/٤٤٤).

وقال ابن حجر الهيتمي (الشافعي): الأوتار والمعازف كالطنبور والعود والصنج -أي ذات الاوتار-، وغير ذلك من الآلات المشهورة عند أهل اللهو والسفاهة والفسوق، وهذه كلها محرمة بلا خلاف، ومن حكى فيه خلافًا فقد غلط أو غلب عليه هواه، حتى أصمه وأعماه ومنعه هداه وزل به عن سنن تقواه. (انظر كفّ الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ص١١٨).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

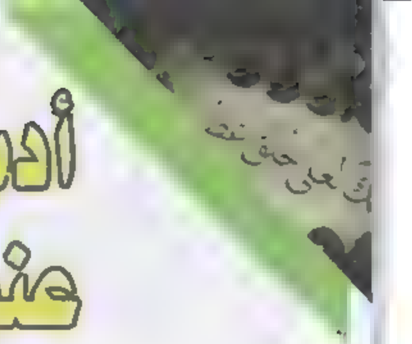

أدب المرء وحُسْن خُلقه عنوان سعادته وفلاحه

[illegible] الشيخ. عبد الفتاح محمد مصلحي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم ليتمم محاسن الأخلاق، ويُعلِّم الناس مكارمها، وكذلك ليدل الناس على معالي الأمور، وينهاهم عن سفاسفها.

ولقد اعتنى الإسلام بتربية المسلم على الأخلاق الحسنة، والآداب الراقية المهذبة أيما اعتناء؛ وذلك لأن حُسن الأخلاق، والأدب الرفيع هو رمز الحضارة العالية البهية، وهو رأس أمرها، وذروة سنامها، وملاك أمرها، فهو طراز فريد في الدنيا للمسلم العامل بدينه، وفي الآخرة يجعله من أعلى الناس درجة، وأقربهم منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لذا عُني الإسلام بالدعوة إلى حُسن الهدى والسمت والأخلاق، وكثر ورود ذلك في الكتاب والسنة، فمن ذلك أمر الله تعالى المسلم أن لا يقول إلا القول المهذب الحسن، فقال تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة: ٨٣)، وليس هذا خاصًا بمخاطبته للمسلم فقط، بل إن هذا للمسلم وغيره، فلفظ الناس لفظ عام؛ لذا كان خلق المسلم، وحُسن سمته، وهديه، وأدبه صفة لازمة له مع جميع الناس، وكان هذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلقه، فإذا سلم اليهود أو النصارى عليه، وقالوا: السام عليك لم يقل: وعليكم السام، بل كان يقول: وعليكم، فعن انس قال: مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: السام عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعليك. أتدرون ما يقول؟ قال: السام عليك». قالوا: يا رسول الله ألا نقتله؟. قال: «لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا وعليكم». (أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٢٦)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه (٢١٦٥)، قال الإمام ابن شهاب الزهري: والسام الموت).

ومن ذلك قوله تعالى: «وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا» (النساء: ٨٦)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو قال لي فرعون: بارك الله فيك، لقلت: وفيك. (أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (١١١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٨٢٥)، وصححه العلامة الألباني).

وهكذا: جاء القرآن والسنة يدلان الناس على أحسن الأخلاق وأفضلها، وأصبح من موازين الشرع للعباد الأخلاق والأدب.

ولتعلم أخي المسلم أن حُسن أدب المرء وخُلقه هو عنوان سعادته في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استُجلِب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانها بمثل قلة الأدب".

فانظر إلى الأدب مع الوالدين:

كيف نجّى صاحبه من حبس الغار حين أطبق عليهم الصخرة (يشير إلى حديث ابن عمر المتفق عليه، حديث الثلاثة الذين كانوا في الغار وأطبقت عليهم الصخرة وأدب الرجل فيه مع والديه)، والإخلال به مع الأم تأويلاً واقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة. (يشير إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، حديث جريج العابد).

وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان". (مدارج السالكين لابن القيم: ٢/٣٩١).

ولنعلم – أحبتي في الله- أن سوء الأدب والخُلق يؤدي إلى الشقاق، والخلاف، ووقوع الشحناء والبغضاء، وأما الأدب وحُسن الخلق فإنه يجمع بين المختلفين، ويؤلف بينهم، ويزيل حواجز القلوب، ويحمي النفوس من هاوية الشقاق.

والحمد لله رب العالمين.

لا كَرْبَ وأنتَ رَبّ

[illegible]

الحمـد لله مفـرج الهموم ومنفسـ الكروب ومبـدد الأحزان والغمـوم. جعل بعد الشدة فرجاً وبعد الضـيق سـعةً ومخرجاً لم يَخل محنة من منحة ولا نقمة من نعمـة ولا نكية من هبة وعطية. والصـلاة والسـلام على نبيه المصـطفي. أحسـن الناس رضـا وصـبرا. وبعد: يا رب لا كـرْب وأنت ربٌ: فالله قـادرٌ أنْ يفرج عنك كل كـرْب: لذلك ينبغي أن يكون شـعار كل مؤمن: لا كرْب وأنـت ربٌ. ما دام لك ربٌ فلا تهتم ولا تيأس. فليستْ مع الله مشكلة المشكلة ألاّ يكون لك ربٌّ تلجأ إليه.

«لا كرب وأنت ربٌ». فيجوز لك القنوط إن لم يكنْ لك ربٌ يتولاك، أما والرب موجود فلا يليق بك. كيف ومنْ له أب لا يلقي لهموم الدنيا بالاً. فلا يدري بأزمات ولا غلاء أسعار، ولا يحمل هم شيء، ويستطيع أن يعتمد عليه في قضاء حاجاته. فما بالك بمنْ له ربٌ يرعاه ويتولاه، ويستطيع أن يتوجه إليه، ويدعوه في كل وقت؟. (تفسير الشعراوي ١٨/ ١١٥١٧).

ولا: تعريف الرب والكرب:

(١) الرَبُّ: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: السيد، المالك المتصرِّف في مخلوقاته بإرادته، والمبلغ كل ما أبدع حدَ كماله الذي قدَره له. ولا يقال لغيره تعالى: الربَ بالإطلاق، بل بالإضافة " «الحمَدُ لله ربِّ العالمين». معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٤٢).

الرَبُ: قال تعالى «ربِّ العالمين» فدل على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار. (تفسير السعدي ١/ ٣٩).

(٢) كَرْب (مفرد): ج كروب: حُزْن وغمٌ يأخذ بالنفس. اكترب الشخصُ: ثقل عليه الحزنُ والهمَ. معجم اللغة العربية المعاصرة (١٩١٦/٢).

الكرب" اشتداد الغم عليه، واستيلائه، الكرب" هو الأمر الذي يشق على الإنسان، ويملأ صدره غيظا، الكرب أشد الغمِ. (منار القاري ٥/ ٢٨١).

ثانيا: من اسباب الكرب مثلا:

(١) البعد عن شرع الله قال تعالى: [illegible] عمى» (طه: ١٢٣- ١٢٤).

(أ) «ومن اعرض عن ذكري» أيْ: خالف أمْري، وما انزلته على رسولي، أعْرض عنْه وتناساهْ وأخذ منْ غيْره هداهْ. تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).

(ب) «فإنَ له معيشةَ ضنكا» أي فإن له في هذه الدنيا عيشًا ضيقًا، ومعيشة شديدة منغصة، إما بشح المادة وإما بالقلق والهموم والأمراض. (المنير للزحيلي ١٦/ ٢٩٨).

(٢) كثرة الفساد وانتشاره: قال تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون» (الروم: ٤١).

هذه الآية فيها النتيجة والسبب والجزاء والعلاج.

النتيجة: (ظهر الفساد في البر والبحر): أي ظهرت البلايا والنكبات في بر الأرض وبحرها.

السبب: (بما كسبتْ أيْدي الناس): بسبب معاصي الناس وذنوبهم.

الجزاء: (ليُذيقهمْ بعْض الذي عملُوا) ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بها جميعا في الآخرة.

الوقاية والعلاج: (لعلهُمْ يرْجعُون) لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه من المعاصي والاثام ويعودون إلى طاعة الله.

(٣) نشر المنكرات والفواحش: قال تعالى: [illegible] (هود: ١١٦) وفي الآية اشارة الى ان الترف مدعاة الى الاسراف، والاسراف يفضي إلى الفسوق والعصيان، والظلم والانحراف. (الوسيط للزحيلي ٢/ ١٠٨٤).

عنْ عبْد الله بْن عمر، قال: أقْبل علينا رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " يا معْشر المهاجرين خمْسٌ إذا ابْتليتمْ بهنْ، وأعوذ بالله أنْ تدْركوهنْ، لمْ تظْهر الفاحشة في قوْم قطْ، حتى يعْلنوا بها، إلا فشا فيهمْ الطاعُون، والأوْجاع التي لمْ تكنْ مضتْ في أسْلافهمْ الذين مضوْا ولمْ ينقصُوا المكْيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجوْر السُلْطان عليْهمْ، ولمْ يمْنعُوا زكاة أمْوالهمْ إلا منعُوا القطْر من السماء، ولوْلا البهائمْ لمْ يمْطرُوا، ولمْ ينقضُوا عهْد الله، وعهْد رسُوله، إلا سلط الله عليْهمْ عدوًا منْ غيْرهمْ، فأخذوا بعْض ما في أيْديهمْ، وما لمْ تحْكمْ أئمتهمْ بكتاب الله، ويتخيرُوا مما أنْزل الله، إلا جعل الله بأسهُمْ بيْنهُمْ" سنن ابن ماجة (٤٠١٩)، صحيح الجامع (٧٩٧٨).

وهذا حديث عظيم جامع لأسباب هلاك الأمم يشرح صلى الله عليه وسلم واقع الأمة اليوم وكأنه يعيش بيننا الآن، فكل هذا حدث،

وزاد الكرب والغم والهم الشديد.

ثالثاً: علاج الكرب (لا كرب وأنت ربٌّ):

قــال تعالــى: «قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ [illegible] (الأنعام: ٦٣- ٦٤).

لفـظ الآيـة يـدل علـى أن عند حصـول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور: أحدها: الدعاء. وثانيهـا: التضـرع وثالثها: الإخلاص بالقلب، وهـو المراد من قولـه: وخفيـة ورابعهـا: التزام الاشتغال بالشكر، وهو المراد من قولـه: لئن أنجيتنـا مـن هـذه لنكونن مـن الشـاكرين ثم بـيّن تعالى أنـه ينجيهم من تلـك المخاوف ومن سائر موجبات الخوف والكرب. (مفاتيح الغيب ١٣/٢٠).

من مفاتيح تفريج الكرب مثلا:

(١) الصـبر والرضـا بقضـاء الله تعالـى: قـال تعالـى: [illegible] أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٥- ١٥٧).

وعـن صـهيب، قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «عجبًا لأمـر المؤمـن، إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصـابته سـراء شـكر، فكان خيرًا له. وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له» صحيح مسلم (٢٩٩٩).

يا صاحب الكرب ان الكرب منفرج

ابشر بخير فان الفارج الله

الياس يقطع احيانا بصاحبه

لا تياسن فان الكافي الله

الله يحدث بعد الكرب ميسرة

لا تجزعن فان الكاشف الله

اذا بليت فثق بالله وارض به

ان الذي يكشف البلوى هو الله

والله ما لك غير الله من احد

فحسبك الله في كل لك الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته

ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

(٢) التوبـة والاسـتغفار: قـال تعالـى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا [illegible] مِّدْرَارًا [illegible] وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا» (نوح: ١٠- ١٢) شـكا رجل إلى الحسن الجدوية فقال له: استغفر الله. وشكا أخر إليه الفقر فقال له: اسـتغفر الله. وقال له اخر: ادع الله أن يرزقنـي ولـدا. فقـال له: استغفر الله. وشكا اليه اخر جفاف بستانه. فقالله: استغفر الله فقلنـا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شـيئا. إن الله تعالـى يقـول في سـورة نـوح: استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسـل السماء عليكم مدرارا. (تفسير القرطبي ١٨/٣٠٢).

(٣) تقـوى الله والايمان به: قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ [illegible] (الاعـراف: ٩٦). لاحظ معي كم عدد البركات وكـم عـدد الخـيرات التـي تأتـي مـن الأرض والسموات لمن امن واتقى وعمل الصالحات.

(٤) تنفيس كرب النـاس بقدر استطاعتك؟ عن أبي هريرة، قال: قال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «من نفّـس عـن مؤمن كربـة من كـرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسـر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والاخرة، ومن سـتر مسلما، ستره الله في الدنيـا والاخرة، والله في عـون العبد ما كان العبد في عون اخيه» صـحيح مسـلم (٢٦٩٩). في هذا فضل اعانة المسـلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من ازالها بماله أو جاهه أو مسـاعدته والظاهر أنـه يدخـل فيـه مـن أزالهـا بإشـارته ورأيـه ودلالته. (شرح النووي ١٦/١٣٥).

(٥) اللجـوء إلـى الله تعالـى بالدعـاء: قـال تعالـي: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ [illegible]» (يونس: ١٠٧).

وقـال تعالـى: «وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» (الصـافات: ٧٥- ٧٦).

مهما بلغ بـك الكرب فالله تعالـى وحده القادر على كشـفه وتفريجه: لأنـه مالك الملك فالجأ إليه بالذكر والدعاء.

من ادعية واذكار تفريج الكرب مثلا:

(١) عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا، قال:

كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: «لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ السموات والأرض، وربُّ العرش العظيم»، صحيح البخاري ٦٣٤٥.

دل هذا الحديث على مشروعية الدعاء بما اشتمل عليه لمن نزل به كرب، وبعد فراغه يدعو بأن يكشف الله عنه كربه، ويذهب عنه ما أصابه، ويدفع عنه ما نزل به. (منار القاري ٥/ ٢٨٠).

(٢) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوات المكروب: اللهمَّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت»، سنن أبي داود (٥٠٩٠)، صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٣) عن سعد بن أبي وقَّاص قال: كنَّا جلوسًا عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا أخبركم بشيءٍ إذا نزل برجلٍ منكم كربٌ، أو بلاءٌ من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟». فقيل له: بلى. فقال: "دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١٨٦٤)، السلسلة الصحيحة (١٧٤٤).

(٤) عن أنس بن مالك، قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمرٌ قال: «يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتك أستغيثُ»، سنن الترمذي (٣٥٢٤)، صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) أستعين واستنصر، يقال أغاثه الله أعانه ونصره وأغاثه الله برحمته كشف شدته. (فيض القدير ٥/١٦٣).

(٥) عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا" فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: "بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها" مسند أحمد (٣٧١٢)، السلسلة الصحيحة (١٩٩).

اللهم فرج كرب المكروبين وأزل هم المهمومين.

تهنئة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بالتهنئة للدكتورة [illegible] محمد عمر، بمناسبة حصولها على درجة الدكتوراه، بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوجيه بتبادل الرسالة مع الجامعات الأخرى عن رسالتها بعنوان: أثر الاتصال الاستراتيجي الحكومي على الثقة السياسية لدى الشباب المصري بكلية الإعلام جامعة القاهرة قسم الإذاعة والتليفزيون. وذلك يوم الأحد ٢٠٢٣/٢/١٩م.

وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كل من:

أ.د. فرج الكامل، أستاذ الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة، مناقشًا ورئيسًا.

د. حمدي عبد الجواد، أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية، مناقشًا.

أ.د. أيمن منصور ندا، أستاذ الإذاعة والتليفزيون بكلية الإعلام جامعة القاهرة مناقشًا.

سائلين المولى عز وجل لها دوام التوفيق والسداد

فقه المرأة المسلمة

/ د. عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد انتهينا من الكلام عن الرجعة، وبينا هل الإشهاد على الرجعة واجب أم مستحب، وبينا ما يجوز للزوج أن يطلع عليه من المطلقة الرجعية. ونستكمل ما بدأناه سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

أولا: الطلاق البائن:

إذا طلق الرجل زوجته ولم يدخل بها- طلقة- فقد بانت منه، ولا تحل له إلا بنكاح جديد. وكذا إذا طلق الرجل زوجته آخر ثلاث طلقات فقد بانت منه.

قال ابن المنذر في الإجماع (ص: ٤٣): وأجمعوا على أن من طلق زوجته ولم يدخل بها-طلقة- أنها قد بانت منه. ولا تحل له إلا بنكاح جديد، ولا عدة له عليها. وأجمعوا أن من طلق زوجته أكثر من ثلاث أن ثلاث منها تحرمها عليه.

تحرير محل النزاع:

أولا: اتفق الفقهاء على أن الرجل إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- قال تعالى: «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» إلى قوله تعالى: «

(البقرة: ٢٣٠).

٢- عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإنَّ مَا معهُ مثْلُ هُدْبة الثَّوْب؛ فتبسَّم رسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فقال: «أتُريدين أنْ ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتَّى تذوقي عُسيْلتهُ ويذوقَ عُسيْلتك» أخرجه مسلم (١٤٣٣).

ثانيًا: اتفقوا على أن الزوج الثاني إذا طلقها بعد الدخول بها وانتهت عدتها، وأراد الزوج الأول أن يرجع لها ملك عليها ثلاث تطليقات.

ثالثًا: اختلفوا في الرجل يطلق زوجته مرة أو اثنتين فتنقضي عدتها وتتزوج غيره ثم يطلقها الثاني. فإذا عاد إليها الأول فهل يرجع لها على ما بقي له من التطليقات الثلاث؟ أم أن العقد الجديد يهدم ما قبله ويبقى له عليها ثلاث تطليقات؟ على قولين:

القول الأول: العقد الجديد يهدم ما قبله ويبقى له عليها ثلاث تطليقات. وإليه ذهب أبو حنيفة.

القول الثاني: يرجع لها على ما بقي له من التطليقات الثلاث. وإليه ذهب زفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن ومالك والشافعي والأوزاعي وابن أبي ليلى.

أقوال الفقهاء في المسألة:

جاء في رد المحتار (٣١٦/١١): في معرض كلامه عن مسألة الهدم: وحاصلها أن الزوج

الثاني يهدم الثلاث، وما دونها عندهما، وعند محمد يهدم الثلاث فقط.

قال الماوردي في الحاوي (٢٨٦/١٠): وإن نكحت زوجًا وأصابها ثم طلقها وعاد الأول بعد عدتها من الثاني وتزوجها، فقد اختلف الفقهاء فيه. فذهب الشافعي إلى أن وجود الزوج الثاني كعدمه، وأنه لا يرفع ما تقدم من طلاق الأول، وإذا نكحها الأول بعده كانت معه على ما بقي من الطلاق، فإن كان الطلاق واحدة بقيت معه على اثنتين، وإن كان اثنتين بقيت على واحدة، فإن طلقها في النكاح الثاني واحدة حرمت عليه حتى تنكح زوجًا غيره، وبه قال من الصحابة: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة.

ومن الفقهاء: مالك والأوزاعي وابن أبي ليلى وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن.

وقال الشوكاني في السيل الجرار (٣٩٨/٢): وإذا عرفت أن التثليث هو مورد النص، فاعلم أنه لم يرد في شيء من الكتاب والسنة ما يدل على أنها إذا نكحت زوجًا غيره بعد طلقة أو طلقتين، أن الطلقة أو الطلقتين يكون لها حكم الثلاث في الانهدام، لكن هاهنا قياس قوي، قياس يسمونه قياس الأولى، وتارة يسمونه فحوى الخطاب، فإنه يدل على أن انهدام ما دون الثلاث مأخوذ من الآية بطريق الأولى، ويعضد هذا أن الاحتساب بما وقع من طلاق الزوج عليها بعد أن نكحت زوجًا غيره خلاف ما يوجبه الحل المفهوم من قوله: «فلا تحل له» (البقرة: ٢٣٠)، فإن ظاهره أنها تحل له الحل الذي يكون للزوج على زوجته لو تزوجها ابتداء.

ثالثًا: من يقع منه الطلاق؟

تحرير محل النزاع:

أولًا: اتفق الفقهاء على أن طلاق المسلم العاقل البالغ- الذي ليس سكران ولا مكرهًا ولا غضبان ولا محجورًا عليه ولا مريضًا لزوجة قد تزوجها زواجًا صحيحًا، جائز إذا لفظ به بعد النكاح مختارًا له حينئذ، وأوقعه في وقت الطلاق بلفظ الطلاق على سنة الطلاق فإنه طلاق.

ثانيًا: وأجمعوا على أن المجنون والمعتوه لا يجوز طلاقه.

ثالثًا: اختلف الفقهاء في طلاق المكره على قولين.

القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن طلاق المكره لا يقع، وحجتهم في ذلك أدلة الباب، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وابن حزم وابن القيم وغيرهم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قال تعالى: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (النحل: ١٠٦).

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تجاوز عَنْ أُمَّتي الخطأ والنِّسيان وما استُكْرِهُوا عَلَيْهِ». صحيح سنن ابن ماجة (٢٠٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٦٢/١١)، والإرواء (٨٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق ولا عتاق في غلاقٍ»- أخرجه أحمد (٢٧٦/٦)، وصحيح سنن أبي داود (٢١٩٣)، وصحيح ابن ماجة (٢٠٤٦)، والدارقطني (١١/٤)- قال الحافظ: قد ضعفه أبو حاتم الرازي- تلخيص الحبير (٤٥٠/٣)، وقال المنذري: في إسناده محمد بن عبيد بن صالح المكي وهو ضعيف.

القول الثاني: ذهب قوم إلى أن طلاق المكره يقع، وهذا مذهب أبي حنيفة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي: أن النية لا اعتبار لها بدليل أن الهازل واللاعب يقع منهما الطلاق.

أقوال الفقهاء في المسألة:

جاء في العناية شرح الهداية (٢٨٥/٥): وطلاق المكره واقع، خلافًا للشافعي، هو يقول: إن الإكراه لا يجامع الاختيار وبه يعتبر التصرف الشرعي، بخلاف الهازل فإنه مختار في التكلم بالطلاق.

جاء في التاج والإكليل لمختصر خليل (٣٦/٦): قول مالك: المكره على اليمين ليس يمينه بشيء وإن أكره... قال اللخمي: من وقع منه الطلاق بغير نية، فالصحيح من المذهب أنه لا يلزمه، وهو في المكره أبين.

قال الشافعي في الأم (٢٠٨/٩): وكل مكره ومغلوب على عقله فلا يلحقه الطلاق.

قال المرداوي في الإنصاف (٤٣٨/٨): ومن أُكره على الطلاق بغير حق: لم يقع طلاقه، هذا المذهب مطلقًا، نص عليه في رواية الجماعة وعليه الأصحاب.

وفي عون المعبود (١٨٨/٦): قال الحافظ شمس

الدين ابن القيم رحمه الله، في ثنايا شرحه لحديث: «ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ والطَّلاقُ والرَّجْعَةُ» صحيح سنن أبي داود (٢١٩٤)، وصحيح ابن ماجة (٢٠٣٩).

وقد احتج به من يرى طلاق المكره لازمًا. قال: لأن أكثر ما فيه أنه لم يقصده والقصد لا يعتبر في الصريح بدليل وقوعه من الهازل واللاعب. وهذا قياس فاسد، فإن المكره غير قاصد للقول ولا لموجبه، وإنما حُمل عليه وأكره على التكلم به ولم يكره على القصد، وأما الهازل فإنه تكلم باللفظ اختيارًا وقصد به غير موجبه وهذا ليس إليه، بل إلى الشارع، فهو أراد اللفظ الذي إليه، وأراد أن لا يكون موجبه، وليس إليه، فإن من باشر سبب ذلك باختياره لزمه مسببه ومقتضاه وإن لم يرده، وأما المكره فإنه لم يرد لا هذا ولا هذا، فقياسه على الهازل غير صحيح: انتهى.

وإلى القول بعدم وقوع طلاق المكره ذهب ابن حزم في المحلى (٩/٤٦٢) مسألة ١٩٦٢.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم ومنهم الأئمة الثلاثة (مالك والشافعي وأحمد) من أن طلاق المكره لا يقع-هو ما أرجحه للأدلة الصحيحة الصريحة على هذا القول. والله تعالى أعلم.

رابعا: طلاق السكران:

تنازع الفقهاء في طلاق السكران على قولين:

القول الأول: ذهب فريق إلى أنه يقع، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه ورواية عن أحمد وغيرهم.

وحجتهم في ذلك:

بعض الآثار عن الصحابة والتابعين، ومنها: أثر عمر- عن سليمان بن يسار قال: إن رجلاً من آل البختري طلق امرأته وهو سكران فضربه عمر الحد وأجاز عليه طلاقه- أخرجه ابن منصور في السنن- أثر (١١٠٦).

أن السكران لا يسقط عنه الفرض وكذا لا يسقط عنه الطلاق.

القول الثاني: ذهب فريق إلى أن طلاق السكران لا يقع وهذا ما ذهبت إليه طائفة من الحنفية منهم زفر والطحاوي وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي وطائفة من الشافعية وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن حزم والشوكاني وغيرهم.

وحجتهم في ذلك:

١- قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (النساء: ٤٣).

٢- عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله طهِّرني، فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني... إلى أن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيم أطهِّرك؟» فقال من الزنى، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبه جنونٌ؟» فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: «أشرب خمرًا؟» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أزنيت؟» فقال: نعم، فأمر به فرجم- أخرجه مسلم (١٦٩٥) وغيره.

٣- عن علي بن أبي طالب أنه قال: أصبتُ شارفًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر، قال: وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفًا أخرى فأنختهما يومًا عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخرًا لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فأستعين به على وليمة فاطمة، وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت معه قينة فقالت: ألا يا حمز للشرف النواء فثار إليهما حمزة بالسيف فجب أسنمتهما وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما. قلت لابن شهاب: ومن السنام؟ قال: قد جبَّ أسنمتهما فذهب بها، قال ابن شهاب: قال عليٌّ رضي الله عنه فنظرت إلى منظر أفظعني فأتيت نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر، فخرج ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه، فرفع حمزة بصره وقال هل أنتم إلا عبيدٌ لآبائي، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج عنهم وذلك قبل تحريم الخمر- أخرجه البخاري (٢٣٧٥)، ومسلم (١٩٧٩) واللفظ للبخاري.

٤- عن أبان بن عثمان عن عثمان، قال: «ليس لمجنون ولا لسكران طلاق»- أخرجه ابن أبي

شيبة في المصنف (١٧٩٠٢).

أقوال الفقهاء في مسألة طلاق السكران:

جاء في فتح القدير (٤٧٠/٣): وطلاق السكران واقع. واختيار الكرخي والطحاوي أنه لا يقع، وهو أحد قولي الشافعي: لأن صحة القصد بالعقل، وهو زائل العقل فصار كزواله بالبنج والدواء.

وفي المدونة الكبرى (٨٣/٢): قال مالك: وبلغني عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أنهما سئلا عن طلاق السكران إذا طلق امرأته أو قتل. فقالا: إن طلق جاز طلاقه وإن قتل قتل... وساق أثر عمر بن الخطاب المتقدم.

جاء في روضة الطالبين (٥٩/٦): ولو تعدى بشرب الخمر فسكر أو بشرب دواء يجنن لغير غرض صحيح، فزال عقله فطلق-وقع طلاقه على المذهب المنصوص عليه في كتب الشافعي رحمه الله تعالى وحكي قول قديم فأثبته الأكثرون ومنعه الشيخ أبو حامد وممن قال لا يقع: المزني وابن سريج... وذكر غيرهم.

جاء في المغني (٧٨/٧): قال الخرقي: وعن أبي عبد الله رحمه الله في السكران روايات: رواية يقع الطلاق، ورواية لا يقع، ورواية يتوقف عن الجواب ويقول: قد اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن قدامة: أما التوقف فليس بقول في المسألة إنما هو ترك للقول فيها وتوقف عنها لتعارض الأدلة فيها واشكال دليلها ويبقى في المسألة روايتان:

إحداهما: يقع طلاقه، اختارها أبو بكر الخلال والقاضي، وهو مذهب سعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن... ومالك والثوري والشافعي في أحد قوليه وابن شبرمة وأبي حنيفة وصاحبيه وسليمان بن حرب لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل طلاقٍ جائزٌ إلا طلاق المعتُوه».

الرواية الثانية: لا يقع طلاقه، اختارها أبو بكر عبد العزيز، وهو قول عثمان ومذهب عمر بن عبد العزيز والقاسم وطاوس وربيعة ويحيى الأنصاري والليث والعنبري واسحاق وأبي ثور والمزني.

قال ابن المنذر: هذا ثابت عن عثمان ولا نعلم أحدًا من الصحابة خالفه.

وقال أحمد: حديث عثمان أرفع شيء فيه وهو أصح -يعني: من حديث علي، وحديث الأعمش منصورٌ لا يرفعه إلى علي، ولأنه زائل العقل أشبه المجنون، والنائم، ولأنه مفقود الإرادة أشبه المكره: ولأن العقل شرط للتكليف.

قال ابن القيم في زاد المعاد (١٨٤/٥): بعد أن ذكر الآية: فجعل سبحانه قول السكران غير معتبر لأنه لا يعلم ما يقول، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالمقر بالزنى أن يُستنكه ليعتبر الذي أقر به أو يلغى.

وفي صحيح البخاري في قصة حمزة لما عقر بعيري علي، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه يلومه، فصعد فيه النظر وهو سكران، ثم قال: هل أنتم إلا عبيد لأبي، فنكص النبي صلى الله عليه وسلم على عقبيه. وهذا القول لو قاله غير سكران لكان ردة وكفرًا، ولم يُؤاخذ بذلك حمزة. وصح عن عثمان رضي الله عنه أنه قال... وساق أثر عثمان المتقدم وغيره من الآثار الدالة على عدم وقوع طلاق السكران.

قال الشوكاني في المنتقى (٢٨١/٦): بعد أن ذكر خلاف العلماء في المسألة: والحاصل أن السكران الذي لا يعقل لا حكم لطلاقه لعدم المناط الذي تدور عليه الأحكام، وقد عين الشارع عقوبته فليس لنا أن نتجاوزها برأينا ونقول: يقع طلاقه عقوبة له، فيجمع له بين غرمين.

قال أبو محمد بن حزم في المحلى (٤٧١/٩): وطلاق السكران غير لازم، وكذلك من فقد عقله بغير الخمر، وحد السكر: هو أن يخلط في كلامه فيأتي بما لا يعقل وبما لا يأتي به إذا لم يكن سكران.

تعقيب وترجيح

أعتقد بعد عرض أقوال كل فريق في المسألة أن الحق مع من ذهب من أهل العلم إلى أن طلاق السكران لا يقع: لأن العقل مناط التكليف، والسكران لا يعقل ولا يعلم ما يقول. فالسكران لا يُؤاخذ بما يقول ودليل ذلك الآية الكريمة وحديثا الباب، وقد استدل بها أصحاب هذا القول على عدم وقوع طلاق السكران كما أسلفت. والله تعالى أعلم.

[illegible]

تاريخ القرآن

[illegible]

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى وعظيم لطفه بخلقه، أن أرسل إليهم رسلاً، وفضل هذه الأمة بأفضل الرسل، وجعل الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات السماوية، وأفضلها وأكملها، وهي باقية إلى قيام الساعة، فحفظها الله من التحريف والتبديل، وذلك بحفظ مصادرها (الكتاب والسنة) فهي باقية صافية إلى قيام الساعة، لا يزيغ عنها إلا هالك، وكتب الله السعادة في الدارين للمتمسكين بها، والمتبعين لها، وكتب الشقاء والذلة والإهانة على من حاد عنها، وتنكب صراطها المستقيم، ونبينا الرحمة المهداة والنعمة المسداة لم يترك خيرًا إلا دل الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، ومن أعظم الخيرات كتاب الله تلاوةً وتدبرًا وعملاً، قال تعالى: [illegible] (يونس:٥٨)، فكان رسول الله للأمة القدوة والنبراس والمنهج القويم في التعامل مع كتاب الله عز وجل، ثم تلقى الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يضيعوا منه جملة، ولم يهملوا حرفًا، واقتدوا به في العناية به، ومن ثم السلف الصالح الذين صاروا على نهجهم في تعلم كتاب الله وتعليمه، وتعظيمه في النفوس حفظًا وتجويدًا وترتيلاً، وهكذا حملته في صدورهم وعمرت به المساجد والبيوت.

فهو عظيم لعظمة من تكلم به، وعظيم

لمكانة من نزل به، وعظيم لمقام وشأن من أنزل عليه، وعظيم لخيرية من خاطبوا به، وعظيم لفضل الزمن الذي نزل فيه، وحرمة المكان الذي نزل فيه.

فهو عظيم بتشريعاته الشاملة، وعظيم في مقاصده الحقة، وعظيم في تأثيره وأثره، وعظيم في لغته وأسلوبه، فيه الكمال المطلق لأنه نزل من الله الكامل المطلق. فلله الحمد والمنة، وله الشكر والإنعام.

والاشتغال بالقران، وخدمة القرآن، والتعريف به، ونشره، وتحبيبه إلى النفوس، وتشويق الأفئدة إليه، والتبصير به، ولفت الأنظار إليه والإبانة عن حقائقه وفضله وعظمته، وإقامة الحجة به على الآخرين لمن أفضل ما يُشتغل به، وتُنفق فيه الأوقات، وتُبذل في الأموال، ويُضحى فيه بالمهج، وبكل ما هو أغلى وأنفس.

معنى القرآن الكريم

القرآن في اللغة: اختلف العلماء في بيان معنى (القرآن) على فريقين:

القول الأول: أنه المصدر مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه: قيل: مأخوذ من قرأ: بمعنى: ضمَّ وجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، أو لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك، وقيل: مشتق من (القرء)، وهو بمعنى: الجمع، قال الزجاج: والقرء في اللغة: الجمع.

وقيل: مشتق من (قرأ)، يقال: قرأ قراءة وقرآنًا، بمعنى: تلا، قال الله تعالى: «إن علينا جمعه وقرآنه» (القيامة: ١٧)، أي: جمعه وقراءته، ومنه قول حسان بن ثابت يرثي أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به
يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي: وقراءة.

القول الثاني: أنه مصدر غير مهموز، وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه، قيل: مشتق من (القري)، يقال: قريت الماء في المقراة: جمعته، وجمع القرية: قرى، لاجتماع الناس فيها، قال السمين الحلبي: وهو غلط لأنهما مادتان متغايرتان.

وقيل: مشتق من (قرنت الشيء بالشيء)، إذا ضممته إليه فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة: قران، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأشعري.

وقيل: مشتق من (القرائن) لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضًا، فهي حينئذ قرائن، قاله القرطبي.

قال الزجاج: وهذا القول سهو، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

الفريق الثاني: قالوا هو اسم غير مشتق، ولا مهموز، بل هو علم غير منقول، خاص بكتاب الله سبحانه وتعالى.

قال الإمام الشافعي: "وقرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول: القران اسم وليس مهموزًا، ولم يؤخذ من ،قرأت، ولو أخذ من ،قرأت، لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل، تهمز قرأت، ولا تهمز القرآن، وقرأ به ابن كثير، وهو اختيار السيوطي. (إقراء القرآن الكريم، دخيل بن عبد الله الدخيل، ص ١٧ وما بعده).

الرأي المختار

القرآن مصدر مهموز مشتق من (قرأ) يقال: قرأ قراءة وقرآنا، بمعنى: تلا، قال الله تعالى: «إن علينا جمعه وقرآنه» (القيامة: ١٧) أي: جمعه وقراءته، وإذا حذف همزه فإنما ذاك من أجل التخفيف، وهذا الاختيار استنادًا إلى مورد اللغة، وقوانين الاشتقاق، وسالمًا من الاعتراضات الموجهة لغيره. (انظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/١٦-١٧)، وعلم القراءات، نبيل آل إسماعيل (١٦-١٧) وعلوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، لمحمد صفاء (١/٣٩)، واقراء القرآن الكريم، دخيل عبد الله الدخيل (١٧-٢١).

تعريفه الاصطلاحي

القران أشهر من أن يُعرف، ويكفي في تعريف القران تعريفًا تحديديًا الإشارة إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان، فتقول: هو

ما بين هاتين الدفتين.

وقد حاول العلماء -يرحمهم الله- وضع تعريف للقران ليميزوه عن غيره من الكتب السماوية السابقة، والأحاديث القدسية، وليس بهدف رفع الجهالة عنه، إذ الجهالة مرفوعة، والقرآن الكريم أعرف من أن يعرف.

ومن تعريفاتهم للقرآن الكريم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القران كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القران الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك أن يكون كلام الله تعالى حقيقة؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى ما قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مؤديًا، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف».

وفي الآداب الشرعية: «وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار، المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين ما جمعه الدفتان من أول «الْحَمْدُ لله ربِّ العالمين» إلى آخر «قُلْ أَعُوذُ بِربِّ النَّاس» كلام الله، وحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع عليه أنه ليس بقرآن عامدًا بكل هذا، فهو كافر». (مجموع الفتاوى ٢/٤١١).

وفي حاشية مقدمة التفسير:

«أجمعوا على أن القرآن كلام الله حقيقة، منزل غير مخلوق، سمعه جبريل من الله، وسمعه محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل، وسمعه الصحابة من محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي نتلوه بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا، وكل حرف منه، كالباء والتاء، كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف». (شرح مقدمة التفسير، لابن القاسم، شرح د/ سعد بن ناصر الشتري، ص٣١).

وفي فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «القرآن كلام الله حقًا لفظه ومعانيه، تكلم به رب العالمين، وسمعه منه جبريل عليه السلام، وبلّغه جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، دون تغيير ولا تبديل. قال تعالى: «[illegible]» (الشعراء: ١٩٢- ١٩٥)».

ويمكن أن يُستخلص من هذا الكلام المتقدم أن القرآن هو: «كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبَّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس».

فقولنا: «كلام الله» قيد يخرج به كلام غير الله عز وجل من الأنبياء والملائكة والجن والناس أجمعين.

وقولنا: «المنزل» يخرج به ما لم ينزل أصلاً من كلام الله تعالى، واستأثر بعلمه.

وقولنا: «على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم» يخرج به ما أنزل على غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، مثل: الزبور، والتوراة، وغير ذلك.

وقولنا: «المعجز بلفظه، المتعبَّد بتلاوته» يخرج به الأحاديث القدسية فإنها غير متحدى بها، ولا مُتعبَّد بتلاوتها.

وقولنا: «المنقول بالتواتر» يخرج به القراءات غير المتواترة أو المنسوخة.

وقولنا: «المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس» فإنما أريد بهذه العبارة الرد على من زعم أن في القرآن نقصًا أو زيادة. (المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبي شبهة، ص ٢٠- ٢١).

والحمد لله رب العالمين.

قصة شكوى الكعبة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[illegible]

القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد **الشيخ علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولًا: سبب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السُّنة الأصلية يجعل من لا دراية له بالتحقيق يتوهم أن هذه القصة صحيحة، ولكن كما سنبين من التحقيق أنها قصة باطلة موضوعة.

٢) والقصة كما سنبين من المتن جاء بها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم فقال: «والذي نفسي بيده إن للكعبة لسانًا وشفتين، ولقد اشتكت إلى الله فقالت: يا رب قلَّ عوادي، وقلَّ زُوَّاري».

٣) وهذا الخبر الذي ستكشف عاره ونبين عواره جاء به أن الله عز وجل أوحى إلى الكعبة عندما اشتكت إليه فقال لها: «إني خالق بشرًا خُشعًا سُجدًا يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها». اهـ.

٤) وهذا الخبر سنجمع طرقه ونبين علله حتى يتبين أنه كذب مختلق مصنوع منسوب إلى الله سبحانه وتعالى وإلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٥) ومن يتدبر القرآن الكريم يجد فيه الاستغناء عن هذا الكذب:

أ) فقد قال الله تعالى في سورة الحج المدنية في الآية (٢٧): «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ».

ب) قال الحافظ ابن كثير في ختام تفسير هذه الآية: (وهذه الآية كقوله تعالى إخبارًا عن إبراهيم حيث قال في دعائه: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ»، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحنّ إلى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار). اهـ.

قلت: ما أعظم هذا التدبر من الإمام الحافظ ابن كثير للآية (٢٧) من سورة الحج والربط بينها وبين الآية (٣٧) من سورة إبراهيم، في تناسب في غاية التدبر لقوله تعالى: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً»، وليست أجسامًا، وكذلك التدبر لقوله تعالى: «تَهْوِي إِلَيْهِمْ»، وفسره فقال: «فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف». اهـ. نعم إنه حنين، وضعه رب العالمين، في أفئدة أهل الإسلام، استجابة لدعوة إبراهيم عليه

السلام.

وليس كحنين حمامة إلى بيضها، كما في هذا الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما سنبين في تحقيق هذه القصة.

ج) وليس هذا الحنين إلى الكعبة متولدا من شكوى الكعبة بلسانها وشفتيها إلى الله قائلة: يا رب قل عوادي، وقل زواري، كما في هذه القصة الباطلة المنكرة ولكن الحنين إلى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها سائر الجهات والأقطار من كل فج عميق أمر جعله الله في أفئدة أهل الإسلام كما هو ظاهر من تدبر الأيتين المذكورتين، وهذه اية ثالثة من تدبرها يعلم أن الحنين إلى الكعبة أمر جعله الله مرتبط بالبيت تمام الارتباط قال الله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا» (سورة البقرة: ١٢٥).

فقوله تعالى: «مثابة» يعني مرجعا تذهب إليه وتعود ولذلك فإن الذي يذهب إلى بيت الله الحرام مرة يحب أن يرجع إليه مرات ومرات. اذن فهو مثابة له لأنه ذاق حلاوة جوده في بيت الله حلاوة النظر إلى الكعبة يذهب معها كل ما في الصدر من ضيق وهم وحزن ويرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

٦) سنطبق من خلال تخريج وتحقيق هذه القصة نماذج من «علم الحديث التطبيقي» وهو أحد أهداف هذه السلسلة: «تحذير الداعية من القصص الواهية» لتعم الفائدة.

ثانيا: المتن

روي عن جابر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، إن للكعبة لسانا وشفتين، ولقد اشتكت إلى الله فقالت: يا رب قلّ عُوادي، وقلّ زُواري، فأوحى الله عز وجل إليها: إني خالق بشرا خشعا سجدا يحنون اليك كما تحن الحمامة الى بيضها».

ثالثا: التخريج

١) الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في «المعجم الأوسط» (٣٩/٧) ح(٦٠٦٣) ط: مكتبة المعارف- الرياض:

قال: حدثنا محمد بن يونس العصفري، حدثنا قرين بن سهل بن قرين، حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن ابي ذئب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا.

٢) وأخرجه الإمام الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة (٣٦٥هـ) في «الكامل» ط: دار الفكر (٤٤٣/٣) (٨٦١/١٢٩) قال: حدثنا محمد بن يونس العصفري حدثنا أبو عبد الرحيم قرين بن سهل بن قرين، حدثنا ابي، عن ابن ابي ذئب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعًا.

رابعا: التحقيق

١) قال الحافظ الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ابن أبي ذئب إلا سهل بن قرين». اهـ.

٢) وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٨/٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سهل بن قرين وهو ضعيف». اهـ.

٣) قلت: نستنتج من أقوال الحافظين الطبراني والهيثمي أن علة هذا الحديث هو سهل بن قرين، وأنه ليس له متابع حيث لم يرو هذا الحديث عن ابن أبي ذئب إلا سهل، وقال فيه الهيثمي: «ضعيف» ولا بد من الوقوف على درجة ضعفه: للحكم على درجة الحديث.

٤) بيان درجة ضعيف سهل بن قرين:

أ) قال الإمام الحافظ ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤هـ) في «المجروحين» (٣٤٦/١): «سهل بن قرين يروي عن ابن أبي ذئب وغيره من الثقات ما ليس من حديث الأثبات يلزق المراسيل والمقاطيع بأقوام مشاهير فيسندها عنهم لا يجوز الاحتجاج به».

ب) قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل»: «سهل بن قرين روي عنه ابنه قرين بن سهيل وهو منكر الحديث بصري». اهـ.

وأخرج له هذا الحديث كما بينا آنفا من التخريج ثم قال: «هذا الحديث بهذا الإسناد

منكر باطل إسنادا ومتنًا فإنه لم يرو من غير هذا الطريق».. اهـ.

ج) وهذا النوع يقول فيه الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٣١) (ص ٣٩٥-٣٩٦): «غريب متنًا وإسنادًا».

د) ولقد أقر الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٩١/٢٤٠/٢) قول الحافظين ابن حبان وابن عدي فقال: «سهل بن قرين بصري. غمزه ابن حبان وابن عدي وكذبه الأزدي». اهـ.

خامسا: الاستنتاج

١) نستنتج من هذا التحقيق: أن الحديث الذي جاءت به قصة «شكوى الكعبة إلى الله» حديث «باطل موضوع»، والحديث الموضوع بيّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٤٤) فقال: «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع».. اهـ.

وهذا ينطبق تمام الانطباق على ما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل.

٢) أما حدّه ورتبته وحكم روايته: فقد قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) نوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شرّ الضعيف وأقبحه. وتحرم روايته في أيّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه».. اهـ.

سادسا: خبر آخر حول قصة شكوى الكعبة

هذا الخبر أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦١/٦) ح (٣٧١٣) قال: أخبرنا أبو عبد الله، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن عطاء بن أبي رباح عن كعب الأحبار قال: «شكت الكعبة إلى ربها وبكت إليه فقالت: أي رب قلَّ زُوّاري وجفاني الناس، فقال الله لها: إني مُحدث لك أخلاء، وجاعل لك زُوَّار يحنُّون إليك حنين الحمامة إلى بيضاتها».. اهـ.

سابعا: تحقيق هذا الخبر

١) هذا الخبر من قول كعب الأحبار، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٣٥/٢): «هو كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار من الثانية مخضرم مات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة».. اهـ.

قلت: والثانية هي طبقة كبار التابعين كما هو مبيّن في مقدمة التقريب، ولذلك أورده الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٣٤/٢) النوع (٤٠): «معرفة التابعين، والتابعي هو من صحب الصحابي وذكره في التابعين المخضرمين».

٢) وبهذا قد تبين أن كعب الأحبار تابعي، إذن فالخبر «مقطوع» كذا استقر المصطلح؛ حيث قال السيوطي في «تدريب الراوي» (١٩٤/١): «المقطوع: ما أضيف إلى التابعي».

قال البيقوني في «منظومته» (٧):

وما أضيف للنبي المرفوع
وما لتابع هو المقطوع

٣) وبهذا التحقيق لا يصح هذا الخبر المقطوع أن يكون شاهدًا لحديث جابر المرفوع كما هو مقرر عند أهل الصناعة الحديثية، بل يزيده وهنًا على وهن؛ فهو خبر مقطوع، ومع أنه مقطوع فهو خبر باطل موضوع علته: أحمد بن عبد الجبار؛

٤) قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٢/١٨٤/١): «أحمد بن عبد الجبار العطاردي روى عن يونس بن بكير الشيباني وآخرين وروى عنه: أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم وآخرون قال محمد بن عبد الله الحضرمي: كان يكذب، وقال الحاكم أبو أحمد: تركه ابن عقدة، وقال الحافظ ابن عدي: رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه».. اهـ.

فالخبر باطل موضوع.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

[illegible]

(٩٧٧): «إذا لقيت الحاج، فسلم عليه وصافحه، ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/١٦) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «حم عن ابن عمر».

قلت: «حم» ترمز إلى أحمد في «مسنده».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع».

والموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام، والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونا ببيان وضعه».

كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

فائدة: وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضا دراسة لـ علم الحديث التطبيقي، فتعم الفائدة- بفضل الله وحده-.

أولا: التخريج

الحديث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٩/٢ و١٢٨) ح(٥٣٧١)، ح (٦١١٢) قال: حدثنا عفان، حدثنا محمد بن الحارث الحارثي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا لقيت الحاج...» الحديث.

قلت: وهذا الحديث أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٦٥) قال: أخبرنا محمد بن يعقوب بن إسحاق الخطيب بالأهواز، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الحارثي قال: حدثنا محمد بن الحارث الحارثي، قال حدثني محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا.

ثانيا: التحقيق

هذا الحديث موضوع علته محمد بن عبد الرحمن البيلماني:

١) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٦٤): «محمد بن عبد الرحمن البيلماني يروي عن ابيه كان ممن أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها، حدث عن ابيه بنسخة شبيهًا بمائتي حديث كلها موضوعة، لا يجوز الاحتجاج به، ولا ذكره في الكتب إلا على جهة التعجب، ثم اخرج اثني عشر حديثًا من هذه النسخة، وهذا الحديث كان هو التاسع، ثم فتحها فقال: أخبرنا بهذه الأحاديث محمد بن يعقوب بن إسحاق الخطيب بالسند الذي ذكرناه، وقال إنه سند هذه النسخة التي حدث بها عن أبيه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائتي حديث كلها موضوعة كرهت ذكرها كلها؛ لأن فيما ذكرناه غنية لمن هذا الشأن صناعته». اهـ.

٢) قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٦١٧/٧٨٢٧): «محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه ضعفوه قال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث، ثم نقل كلام الإمام ابن حبان الذي ذكرناه انفا واقره». اهـ.

٣) قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/١٧٨) (١٦٦١/٤٠): «كل ما يرويه ابن البيلماني فالبلاء فيه منه، وإذا روى عن بن البيلماني محمد بن الحارث فجميعا ضعيفان محمد بن الحارث وابن البيلماني والضعف على حديثهما بين». اهـ.

[illegible]

لمن سرت شركياتهم في الأمة كالنار في الهشيم.. اتقوا الله

> ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار.

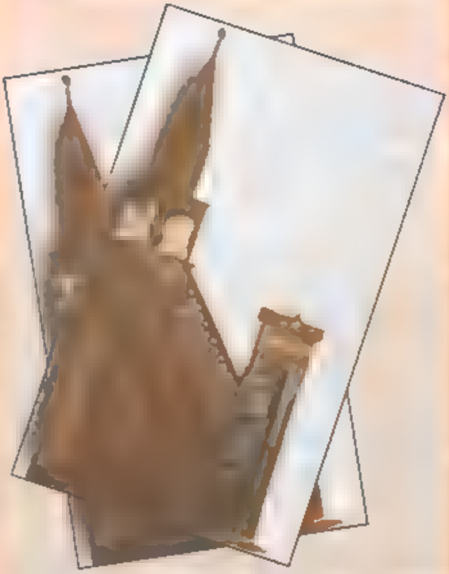

بقلم / د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن المعلوم بالضرورة في دين الله: أنه تعالى إنما خلقنا لعبادته وذلك قوله: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦) أي: (إلا ليوحدون). وهذا إنما يتأتى بإفراده سبحانه بجميع أنواع العبادات القولية منها والفعلية والظاهرة منها والباطنة على الوجه الذي جاءت به السنة المطهرة، وتجريد المحبة والإخلاص له والخوف منه والرجاء فيه والتوكل عليه والرضا به ربا وإلهًا ووليًّا، وألا يُجعل لله عدلاً في شيء من الأشياء، وهو ما لأجله أنزل الله الكتبَ وأرسل الرسل وبعث الأنبياء لينادي كل في قومه: أن «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» (الأعراف: ٥٩).

وفي تقرير ذلك وفي رد من خالفه من سلف الصوفية وخلفها: وردت في الذكر الحكيم المئات من الآيات القرآنية، وهي: إما داعيةً إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه؛ ومنبئةً عما أعده الله لأوليائه من الكرامة لأهل التوحيد وما أنعم به عليهم من سعادة في الدارين، وناطقةً بما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة من الجزاء والفوز العظيم.. وإما مخبرةً عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من الخزي والنكال وما يُفعل بهم في العقبى من العذاب الأليم والعقاب المهين.

وحسبك أن تقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة قوله تعالى: «[illegible] الذين آمنوا في الحياة [illegible] الأشهاد» (غافر: ٥١)، وأن تقرأ في عكس ذلك وفي إخزاء أهل الشرك في الدارين قوله عن فرعون مدعي الألوهية: «فأخذناه وجنوده فنبذناهم في [illegible] كيف كان عاقبة

[illegible] » (القصص: ٤٠- ٤٢). والآيات بحق هؤلاء وأولئك أكثر من أن تحصى.

وفي بيان أن المتفضل على عباده بالنعم: الأصل فيه أن يكون هو -دون سواه وبموجب العقل- المستحق لأن يُتوجه إليه بجميع أنواع العبادات، وأن يُفرد بالطاعة والانقياد والإذعان والخوف والرجاء: جاء قوله تعالى: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ [illegible] » إلى أن قال: « أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (الطور ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٣). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أي: أم خلقوا من غير ربٍّ". ومعناه:

أوجدوا بلا خالق؛ وذلك مما يستحيل ولا يجوز أن يكون؛ إذ لا بد لهم من خالق لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد لهم من خالق؛ فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، «أم هم الخالقون» لأنفسهم وذلك في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له في ذاته كيف يخلق. فإذا بطل الوجهان: قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا فليؤمنوا به إلهًا وليفردوه بالعبادة، «أم خلقوا السماوات والأرض» وهذا من البطلان أشد وأشد، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه فضلاً عن أن يكون موجدًا لغيره. وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وإن شهدوا على أنفسهم بأنه سبحانه الخالق كما ورد ذلك عنهم في العديد من الآيات.

ولذا كان لآيات سورة الطور وقعها على من سمعها، فقد جاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآيات كاد قلبي يطير) (ينظر معارج القبول ١/ ٥٤، ٥٥).

ومما جاء على هذا النمط من الإفحام والتحدي والاستنكار على كل من اتخذ مع الله شريكًا حتى مع اعترافه بربوبيته تعالى: قوله عز من قائل: « [illegible] يُخْلَقُونَ » (الأعراف: ١٩١)، وقوله: « [illegible] » (يونس: ٣٤، ٣٥)، وقوله: « [illegible] » (الرعد: ١٦).

وكذا قوله: « [illegible] وَلَا نُشُورًا » (الفرقان: ٣)، وقوله: «آلله خير أما يشركون. أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع لله بل هم قوم يعدلون» إلى أن قال: « أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ [illegible] » (النمل: ٦٢- ٦٤).

وكذا قوله: « [illegible] » إلى أن قال: « [illegible] » (القصص ٧١- ٧٤)، وقوله: « [illegible] » (الروم: ٤٠)، وقوله: « [illegible] بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا » (فاطر: ٤٠)، وقوله: « [illegible] مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (الأحقاف: ٤).

وفي بيان أن اتخاذ الشفعاء وسطاء بين القبوريين وعبدة الأضرحة وبين الله: هو من أبرز مظاهر الشرك: نطالع قول الله تعالى: « أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن

[illegible] (الزمر: ٣).. على أن أولئك الشفعاء كما سيأتي لن ينفعوهم بل وسيتبرؤون إن كانوا صالحين؛ ممن اتخذوهم أولياء من دون الله. بل أثبت القرآن أن هذا الاتخاذ هو أساس وأصل الشرك. ذلك أنه سبحانه لما أرسل نوحًا إلى قومه وقابلوه بالكفر والتكذيب، ما كان حجتهم في ذلك إلا ما حكاه القرآن من قولهم: «ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا» (نوح: ٢٣)، وفي صحيح البخاري أنها (أسماء لرجال صالحين، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، أي: صوّروهم على صور أولئك الصالحين وسمّوها بأسمائها، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت). قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: "قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم".

يعني: تمامًا كما هو الحاصل في زماننا لدى الجهلة والصوفية والمقلدة وغيرهم من القبوريين، وانما يأتي الأمر في ذلك بالتدرج واتباع خطوات الشيطان الذي قد يوصل أحدهم – وكما ذكر ابن القيم – إلى أن "يتخذ قبره وثنا، يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا ومنسكا، واعتقاد أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم".

ولبيان أن الفيصل في قبول توبة العبد وفي دخوله الجنة: هو البعد عن الشرك وعن اللجوء لغير الله وبخاصة إذا كان لطلب ما لا يقدر عليه الا الله؛ جاء قوله تعالى: «[illegible] ما دون ذلك لمن يشاء ومن [illegible] إثما عظيما» (النساء: ٤٨).

وقوله: «[illegible]» (النساء: ١١٦). وقوله: «[illegible] حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار» (المائدة: ٧٢).

لقد أوضح القرآن أن أولئك الوسطاء لا يدفعون الضر إذا أراده الله للإنسان ابتلاء في الدنيا أو عقابًا في الآخرة؛ بل ولا حتى عن أنفسهم إذا أراده الله لهم في الدنيا ولا في الآخرة.. ولا أدل على ذلك مما جاء في قصة مؤمن آل ياسين وفيها قوله ناصحًا قومه: «[illegible]» (يس: ٢٢- ٢٤). ولا مما جاء من قوله تعالى: «[illegible]» (المائدة: ٧٦).

وقوله: «[illegible] نفعا ولا ضرا» (الرعد: ١٦)، وقوله عن يوم الحشر والتغابن: «فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا» (سبأ: ٤٢)، وقوله: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» (غافر: ١٨). ولا أشد في ظلم النفس من الإشراك بالله لقوله عز من قائل: «إن الشرك لظلم عظيم» (لقمان: ١٣).

وإذا كان القرآن قد صرح بأن خير رسل الله وخاتمهم صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًا وذلك في قوله تعالى: «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله» (الأعراف: ١٨٨) أفيملك لغيره نفعا ولا ضرًا؟! وإذا كان –بأبي هو وأمي– لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؛ أيملك غيره لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا؟!.

كما أوضح بطريق الحصر والقصر أنه لا يملك الضر والنفع أحد غير الله، وأن من ابتغى ذلك لدى من سواه فقد ألحق بنفسه الضرر المحقق، وذلك في قوله: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو» (الأنعام: ١٧، يونس: ١٠٧). وقوله: «[illegible] وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد [illegible]»

[illegible] . (الحج: ١٢، ١٣).

ومن حديث التنزيل عن تخلي الشركاء والمقبورين يوم القيامة عمن اتخذوهم أولياء وراحوا يستشفعون بهم ويدعونهم من دون الله - وغالبًا ما يأتي على سبيل التحدي والتوبيخ -: قوله تعالى: [illegible] ثم نقول للذين أشركوا أين شركا[illegible] (الأنعام: ٢٢). وقوله: [illegible] (الأعراف: ١٩٥). وقوله: [illegible] (النحل: ٢٧). وقوله: [illegible] السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون» (النحل: ٨٦، ٨٧). وقوله: «ويوم يقول نادوا شركائي [illegible] فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا» (الكهف: ٥٢).

وكذا قوله: «ولئن [illegible]» (فاطر: ١٣، ١٤). وقوله: «[illegible]» إلى أن قال: «[illegible]» (القصص: ٦٢، ٦٤). وقوله: «[illegible]» (الروم: ١١، ١٣). وقوله: «ويوم يناديهم فيقول أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد» (فصلت: ٤٧). وقوله: «[illegible] أهلكنا ما حولكم من القرى [illegible] فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون [illegible] لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين» (الأحقاف: ٥، ٦). وقوله: «أم لهم شركاء [illegible]» (القلم: ٤١).

ولبيان أن احتجاجهم في كل ذلك بالقدر سيعود وباله عليهم بعد أن حُذِّروا وأُنذروا بالمشيئة الشرعية، جاء قوله تعالى: «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا [illegible] قل فلله الحجة البالغة» (الأنعام: ١٤٨، ١٤٩)، وقوله: «وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» (النحل: ٣٥، ٣٦).

ومما يدل على أن الشرك خروج عن الإسلام وعن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقد حذر منه أبو الأنبياء إبراهيم ومن بعده بنيه منهم، وأنهم جميعا ما بعثوا إلا لترسيخ ذلك وحراسة جناب التوحيد: قوله تعالى: «قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من [illegible]» (البقرة: ١٣٥)، وقوله: «قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان [illegible] المشركين» (آل عمران: ٩٥)، وقوله: «دينا قيما [illegible] إبراهيم حنيفا وما كان من [illegible]» (الانعام: ١٦١)، وقوله: «إن ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين» «[illegible] أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين» (النحل: ١٢٣).

كما يدل على أن هذا الأمر ليس مما يُجادل او يُجامل فيه، قوله تعالى بعد ذكره سبعة عشر نبيًا: «ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون» (٨٧، ٨٨). وقوله عن خاتم الأنبياء على الرغم من علمه أزلاً أن ذلك لن يكون وانه إنما جاء للتعليم ومن باب أولى: «قل أفغير الله [illegible] وما قدروا الله حق قدره» (الزمر: ٦٤- ٦٧). وقوله بحق الوالدين: «وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما» (لقمان: ١٥).

والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أخطاء يقع فيها بعض الحجاج والمعتمرين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد، فإن الحج ركن من أركان الإسلام التي ينبغي للمسلم أن يؤديها على علم بأحكامها، ويحرص على ألا يضيع ثوابها في أخطاء يمكن تلافيها. لذا أردت أن أنبه على أكثر الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الحجاج والمعتمرين.

أولا: أخطاء قبل الحج

١- عدم الحرص على أن تكون نية الحج خالصة لله

بعض الناس تشوب نيتهم أحيانًا الرياء والسمعة، فيسافر للحج والعمرة حتى يقال الحاج فلان. فكل عبادة يلزمها الإخلاص لله قال تعالى: [illegible] (سورة البينة آية ٥).

٢- عدم الحرص على أن تكون نفقة الحج من كسب حلال

وهذا من أسباب عدم القبول؛ فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾، وقال: ﴿يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك.

٣- الاقتراض لأداء الحج والعمرة

وهذا خطأ، فإن الحج لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلا، والذي لا يملك ما يكفيه من المال لا ينبغي له أن يسافر فيذل نفسه، إلا إذا كان متيسرًا له السداد وقادرًا عليه.

٤- عدم التفقه في أحكام الحج

فيتعرض لما يفسد عمله، أو ينقص أجره وهو لا يدري، ومن فضل الله علينا أن يسر لنا في هذه الأيام الوصول معرفة هذه

الأحكام من خلال الكتيبات المبسطة والأشرطة المصورة ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥- توديع الحجاج بأشياء مبتدعة:

كتوديعهم بالهتاف والجهر بالتكبير والتلبية والأذان، والموسيقى والرايات البيضاء وغير ذلك. فكل هذا من البدع والضلالات المنكرة.

٦- عدم الاهتمام بالرفقة الصالحة في الحج:

فإذا كانوا من غير الطيبين، قد يسيئون إليه ويفسدون عليه عبادته.

٧- سفر المرأة بغير محرم:

وهذا لا يجوز على قول جمهور الفقهاء؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها" متفق عليه.

ثانيا: أخطاء في الإحرام:

١- التلفظ بالنية كأن يقول: (اللهم إني أريد، أو نويت نسك كذا فيسره لي) غير مشروع. والمشروع أن يلبي بنسكه فيقول: لبيك عمرة أو لبيك حجًا.

٢- تجاوز الميقات بدون إحرام، وهذا الخطأ أكثر ما يحدث من ركاب الطائرة خاصة من جاؤوا إلى جدة فيؤخرون الإحرام حتى ينزلوا في مطار جدة فيحرموا منه أو من دونه مما يلي مكة، وقد تجاوزوا الميقات الذي مروا به في طريقهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم في المواقيت: (هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن).

٣- ترك الاشتراط عند الإحرام إن كان خائفاً من عائق يمنعه من إتمام حجه، وهو قول المحرم بالنسك (فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني)، وفائدته أنه إذا حصل لك شيء فإنه يحل إحرامه ولا شيء عليه؛ لحديث ضباعة بنت الزبير حين سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقد عزمت على الحج وهي شاكية فقال لها "حجي واشترطي وقولي محلي حيث حبستني" رواه مسلم.

٤- ظن بعض الناس أن من الواجب أو المستحب أن يصلي ركعتين قبل الإحرام، والصحيح ليس كذلك إلا أن يصلي ركعتين لله تعالى كركعتي الوضوء -مثلا-، أو يحرم عقب فريضة، فهذا لفعله صلى الله عليه وسلم؛ حيث أحرم بعد صلاة الظهر، أما ركعتان للطواف فليس بوارد ولم يثبت فيهما شيء.

٥- بعض النساء تظن أنه لا يجوز لها أن تحرم إذا مرت بالميقات وهي حائض أو نفساء، والصحيح جواز ذلك؛ لما ورد في حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع؟ قال: اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي" رواه مسلم. وإذا أخَّرت الإحرام وتجاوزت الميقات بدونه، فإنها إن رجعت إلى الميقات وأحرمت منه، فلا شيء عليها، وإن أحرمت من دونه فعليها دم لتركها واجب.

٦- بعض النساء تظن أن للإحرام ملابس خاصة فتذهب للبحث عنها، وهذا يشق عليها، والصحيح أن المرأة تلبس كل شيء عدا النقاب والقفازين؛ لأن النهي عن لبس المخيط خاص بالرجال.

٧- يعتقد بعض المحرمين أنه لا يجوز له فعل بعض الأشياء، فيظن أنه لا يجوز الاغتسال للمحرم، ولا يجوز تبديل ملابس الإحرام أو غسلها، وهذا ليس بصحيح؛ بل الصحيح أنه يجوز له فعل كل ذلك، ويتحرج البعض منهم من من لبس الساعة، والنظارة، والحزام على الإزار، أو عقده عند الحاجة، ولبس النعال التي فيها خياطة، وغير ذلك، مع أن هذا جائز كله، وإنما المنهي عنه لبس المخيط على هيئته، كالثوب والسروال، و"الفانلة"، و"الطاقية"، وغيرها.

٨- اضطباع - وهو كشف الكتف اليمنى- بعض المحرمين بمجرد إحرامه إلى أن يحل، وهذا ليس بوارد وهذا خطأ، والسنة أن الاضطباع في طواف القدوم أو العمرة ويكون قبيل الطواف إلى انتهائه.

٩- التلبية بصورة جماعية على هيئة النشيد، وهذا ليس بوارد، والصحيح رفع الصوت بالتلبية لكل محرم منفردا، وهذا خاص بالرجال، أما النساء فيلبين سرًا.

١٠- الاستمرار في التلبية بعد دخول المسجد الحرام والبدء في الطواف، والصحيح أنها

مشروعة في العمرة من الإحرام إلى أن يبدأ بالطواف.

ثالثا: أخطاء في الطواف:

١- طواف البعض على غير طهارة، وهذا خطأ؛ لأن الطهارة شرط لصحة الطواف عند جماهير أهل العلم، بخلاف السعي فلا تشترط له الطهارة، فمن سعى على غير طهارة، فسعيه صحيح، ولا شيء عليه.

٢- صلاة بعض المحرمين إذا دخل المسجد الحرام تحية المسجد، وإنما تحيته الطواف.

٣- عدم بدء الطواف من الحجر الأسود، والسنة أن يبدأ طوافه من الحجر الأسود فيستلمه بيده اليمنى ويقبله أو بعصا أو نحوها وقبل ما استلمه به فإن شق استلامه أشار إليه، فإن لم يتيسر استلامه بيده فإنه يستقبل الحجر ويشير إليه بيده إشارة ولا يقبلها ولا يزاحم للوصول إليه فيؤذي الناس ويتأذى بهم وبخاصة إذا كان بصحبته نساء.

٤- قول البعض عند استلام الحجر الأسود: "اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك"؛ فقد أنكره مالك وضعفه الألباني.

٥- بعض الحجاج يقبل الركن اليماني، وهذا خطأ؛ لأن الركن اليماني يُستلم باليد فقط.

٦- تخصيص البعض كل شوط من أشواط الطواف بدعاء، أو جعل أحدهم يدعو ويردد خلفه الباقين والدعاء الجماعي بدعة، وفيه تشويش على الطائفين، والمشروع ان يدعو كل شخص لنفسه.

٧- أن يرمل بعض المحرمين في الأشواط السبعة للطواف، والصواب أن الرمل -وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطى- لا يُسنّ في غير الأشواط الثلاثة الأولى من طواف القدوم، أو طواف العمرة.

٨- البعض إذا شك في عدد ما طاف فإنه يعيد من جديد وهذا خطأ، ولكن الصحيح أن يبني على الأقل ثم يتم طوافه.

٩- ترك الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام، والسنة أن يقول المحرم بعد الطواف: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، ثم يصلي كعتين خلف المقام، وليس من السنة المزاحمة من أجل الصلاة خلف المقام، وإنما يصلي في أي موضع من المسجد أن شق عليه الصلاة خلف المقام.

رابعا: أخطاء في السعي:

١- ترك بعض الناس ذكر قول الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) إذا دنا من الصفا، وهذا خلاف السنة بأن يقول (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ..) الآية، والرسول قرأ الآية ثم قال: أبدأ بما بدأ به الله.

٢- أن يسعى البعض وهو مضطبع، وهذا خطأ؛ لأن هذه الهيئة خاصة بالطواف فقط (طواف القدوم، أو طواف العمرة).

٣- أن البعض يظن أن الشوط في السعي من الصفا إلى المروة ذهابًا وإيابًا، والصحيح أن السعي من الصفا إلى المروة ذهابًا شوط، ومن المروة إلى الصفا إيابًا شوط.

٤- أن بعضهم يشيرون من على الصفا والمروة إلى البيت، والمشروع أنه إذا وقف على الصفا -وكذلك على المروة- استقبل القبلة، ورفع يديه كهيئة الداعي، وذكر الله تعالى وكبّره وحمده، ودعا بما أحب من خير الدنيا والآخرة.

٥- أن البعض يركض في السعي كله من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا، أو أن بعضهم لا يركض في السعي كله، والمشروع الإسراع للرجل بين العلمين فقط وإن كان الزحام شديدًا فلا يركض.

٦- ركض المرأة في السعي بين العلمين، وهذا خطأ لأن الركض خاص بالرجال.

٧- تخصيص كل شوط في السعي بدعاء معين، فهذا مما لا أصل له، بل يدعو بما أحب.

خامسا: أخطاء في التقصير

أن يقصر البعض من بعض الشعر دون الكل، فيكتفي بقص شعيرات من رأسه، وهذا لا يكفي ولا يحصل به أداء النسك؛ لأن المطلوب التقصير من جميع الرأس؛ لأن التقصير يقوم مقام الحلق، والحلق لجميع الراس، والواجب أن يعمم التقصير على كل الشعر، مصداقا لقوله تعالى: ([illegible]) (الفتح: ٢٧).

نسأل الله أن يكتب لنا الحج والعمرة وأن ييسر لنا أداء نسكنا ويتقبله منا، والحمد لله رب العالمين.

من صور الاعتداء على الدين

نشر الإلحاد عن طريق الشبكة العنكبوتية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهؤلاء الملاحدة قد زاد شرهم في الأونة الأخيرة، وبدؤوا يصرحون بكفرهم وزندقتهم عبر الوسائل الإعلامية السابقة، مع أنهم ولدوا في بيئة مسلمة، ومن أبوين مسلمين، ولكن الشياطين أبعدتهم عن الدين القويم إلى هذا المسلك المنحرف (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، ٨/٣٥٣).

ولا شك أن المسلم إذا ألحد صار مرتدا، والمرتد: هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر (المغني، لابن قدامة الحنبلي المقدسي/٩/٣). إذا دخل في الإسلام ثم رجع عنه صار شرا من الكافر الأصلي؛ لأنه صار مرتدًا، يتحتم في حقه القتل.

[illegible]

١- المرتد إذا مات على ردته حبط عمله (بطل ثواب عمله). لو ارتد شخص مسلم عن الإسلام، ثم مات وهو مرتد، فإنه يلقى الله تعالى وقد حبطت عنه جميع أعماله الصالحة التي كان عملها في إسلامه، وبعد ردته بالإجماع.

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما الردة عن الإسلام، بأن يصير الرجل كافرًا، مشركًا، أو كتابيًا، فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله: «...ومَن يرتددْ منكُمْ عنْ دينه فيمُت وهُو كافرٌ فأولئك حبطتْ أعمالُهُمْ في الدنْيا والآخرة وأولئك أصْحابُ النار هُمْ فيها خالدُون»، وقوله: «... ومنْ يكْفُرْ بالإيمان فقدْ حبط عملُهُ وهُو في الآخرة من الخاسرين»، وقوله: «...ولوْ أشْركُوا لحبط عنْهُمْ ما كانُوا يعْملُون»، وقوله: «...لئنْ أشْركْت ليحْبطن عملُك ولتكُونن من الخاسرين» (مجموع

الفتاوى لابن تيمية ٤/٢٥٧، ٢٥٨).

٢- مشروعية استتابة الملحد:

من ألحد بعد إسلام، فإنه يُستتاب، وإنْ لم يتب قتل، وإذا ثبتت الردة شرعًا على شخص، فإنه يُشرع للإمام أنْ يستتيبه، بأنْ يجعل له مدة يطلب منه ان يتوب من ردته، فإن تاب رجع للإسلام، وإن لم يتب فيطبق فيه حكم الشرع في المرتد.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «ولا أعلم بين الصحابة ي خلافا في استتابة المرتد» (الاستذكار، المؤلف: ابن عبد البر النمري القرطبي، (١٥٤/٧)، ولم يحفظ عن الصحابة ي اختلاف في استتابة المرتد، وانما اختلفوا في حدها، فمنهم من قال: يُستتاب مرة واحدة، ومنهم من قال: شهرا، ومنهم من قال: ثلاثة أيام، وهو الذي عليه اكثر أهل العلم، والأصل في ذلك قوله تعالى: «فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام...» (البيان والتحصيل، المؤلف: ابن رشد القرطبي: ٣٨٠/١٦).

٣- وجوب القتل إن لم يتب:

أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد، ومن العلماء الذين نقلوا الاجماع على ذلك: الكاساني، وابن عبد البر، وابن رشد، وابن المنذر، والنووي، وابن قدامة، والبهوتي. (بدائع الصنائع، المؤلف: علاء الدين الكاساني الحنفي: ١٣٦/٧).

تنبيه مهم جدا:

قتل المرتد إنما هو إلى سلطان المسلمين وامامهم، ومرجعه إلى القضاء.

قال الماوردي رحمه الله: «المرتد يختص الإمام بقتله دون غيره، لأن قتله حق من حقوق الله تعالى التي تنفرد الأئمة بإقامتها كالحدود، فإن قتله غير الإمام لم يضمنه القاتل وعُزر؛ لأن الرِّدة قد أباحت دمه، فصار قتْله هدرًا كالحربي إذا قتله مسلم لم يضمنه لإباحة دمه، لكنْ يعزر قاتل المرتد ولا يعزرُ قاتل الحربي» (الحاوي الكبير، المؤلف: أبو الحسن الماوردي: ١٦٧/١٣).

الأدلة على ذلك:

١- حديث النبي صلى الله عليه وسلم «منْ بـدّل دينـهُ فاقْتُلوهُ» (صحيح البخاري (١٥/٩، رقم ٦٩٢٢).

وجه الدلالة من الحديث: الحديث دليل على أنه يجب قتْل المُرتدّ، وهو إجماع (سُبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: ٣٨٣/٢).

وفقه هذا الحديث: ان من ارْتد عن دينه حل دمُه وضربتْ عنقُه والامة مُجْتمعة على ذلك. (التمهيد (٣٠٦/٥).

٢- عنْ عبْد الله بْن مسْعود رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا يحلُ دمُ امْرئٍ مُسْلم، يشْهدُ أنْ لا إله إلّا الله وأنّي رسُولُ الله، إلّا بإحْدى ثلاث: الثّيْبُ الزّاني، والنّفْسُ بالنّفْس، والتّاركُ لدينه المفارقُ للجماعة. (صحيح البخاري (٥/٩، رقم ٦٨٧٨).

وجه الدلالة من الحديث:

والقتل بكل واحدة من هذه الخصال الثلاث متفق عليه بين المسلمين. (جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي: ٣١٢/١).

ثالثا: علاج ظاهرة الإلحاد:

إنّ هناك أمورًا إذا أُخذ بها، كانت خير سلاح للوقوف بحزم وقوة ضد ظاهرة الإلحاد التي برزت في هذا العصر بصورة أكثر مما كانت معروفة به من قبل:

١- تمكين عقيدة التوحيد من القلوب، فالإلحاد لم ينشأ إلا من خراب القلوب حيث حلها الشيطان واستوطنها.

يقول الله جلت قدرته «وما خلقت الجن والإنْس إلّا ليعْبُدون × ما أُريدُ منْهُمْ منْ رزْق وما أُريدُ أنْ يُطعمُون × إنّ الله هُو الرّزّاقُ ذُو القوة المتين» (سورة الذاريات، الايات من ٥٦-٥٨): فالفرد إذا امتلأ قلبه بمعرفة الله، وأخلص له سبحانه بالعبادة والوحدانية، لن يجد هؤلاء الملاحدة منفذا يدخلون معه، ولا تجد أفكارهم إلى نفسه سبيلا.

٢- ترابط المسلمين واهتمامهم بإخوانهم؛ ليكونوا كالجسد الواحد كما جاء في الحديث الشريف، فيعرفوا ما يحاك ضد إخوانهم في اي مكان من مكائد، وما يطرح من شبهات فيعينوهم في الوقوف ضد ذلك حتى

لا يقعوا فيه.

٣- العناية بالتعليم الإسلامي لتنمية العقيدة الصحيحة. ونبذ الخلافات التي دخلت المجتمعات الإسلامية وغذاها أعداء الإسلام. من باب " فرق تسد".

٤- بذل المساعدات المالية والعلمية لأبناء المسلمين حتى يزدادوا علما ومعرفة لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. ومن ثم توجيه الثقافة والتعريف بالنافع من الضار.

٥- التصدي لشبهات الملاحدة التي تثار. وتوضيحها بالدليل العقلي. والدليل المنقول: لانها شبهات باطلة تتهاوى هشة امام التوضيح والمناقشة. وصدق الله إذ يقول: «إن [illegible] إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم [illegible]» سورة النجم الاية ٢٣.

٦- العناية بالتوجيه الإعلامي من مسموع أو مقروء أو منظور. وربط الأمور بمنطلق العقيدة الإسلامية. فوسائل الإعلام في العصر الحاضر مدرسة لتوجيه أفراد المجتمع على اختلافهم. وتبصيرهم بما يجب عليهم وما لهم: لأنها تدخل كل بيت وتتحدث بكل لغة.

٧- الاهتمام بالتربية الخلقية. والتأدب باداب الإسلام فالإحسان إلى الاخرين من اداب الإسلام. والعدل بين الناس. والصبر على أذاهم وغير هذا من الأمور التي تجذب الكافر. وتحبيبه في الإسلام. هذه بعض الأمور التي تعين في التغلب على ظاهرة الإلحاد. والكيد للإسلام وأهله.

فإن الإسلام فيه الحل لكل ما يعترض من مشكلة. وما مر أو يمر بالعالم من اضطراب لتخليص أبناء الإسلام أولاً من الغزو الإلحادي الموجه إليهم. ولإشعار الأمم الأخرى بقدرة الإسلام على تخليصها من المشكلات التي تعاني منها. لما في تشريعه وحدوده من قضاء على تلك المشكلات بالقضاء على مسبباتها.

فبالنسبة لأبناء المسلمين الذين غزوا في عقر دورهم. وبلغاتهم القومية. فإن الحل يكمن في تعاون المسلمين على الأمور التالية:

١- تعليم أبناء المسلمين منذ صغرهم امور دينهم حتى يتسلحوا ضد أعدائهم وأعداء دين الله.

٢- وإذا كانت دراساتهم النظامية في مدارس علمانية لا تهتم بالدين الإسلامي فإن المسئولية تقع على الآباء والأمهات بتعليم الأولاد في المنزل ما يصلح شأنهم وعقائدهم.

٣- تنظيم مجموعات لأبناء المسلمين لتعليمهم في المسجد أو في المراكز الإسلامية. وأن يتطوع القادر بتخصيص جزء من وقته أداء لحق الله الذي منحه القدرة والكفاءة. ولا يبخل من لديه قدرة ومتسع من الوقت بالتعاون معه امتثالا لقول الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله» سورة المائدة من الآية ٢.

٤- تنمية الحجاب لدى المرأة المسلمة. وتشجيع الانفصال في التعليم عن الرجل لإيجاد الشخصية الإسلامية من البداية حسب أمر الله «ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن» سورة الأحزاب من الآية ٥٣.

٥- تنظيم الندوات والمحاضرات الإسلامية للرجال والنساء وتشجيع النقاش وطرح الأسئلة. والإجابة على الشبهات وتوضيح اختلاف نظرة الاسلام لكثير من الأمور عن النصرانية واليهودية. حتى تتسع مدارك أبناء المسلمين لأن الإسلام يخاطب العقل.

٦- تقوية الرابطة في المجتمعات الإسلامية وخاصة عندما يكون المسلمون في بلاد بها معتقدات مختلفة.

٧- الاهتمام فيما بينهم بالمناسبات الإسلامية كالاعياد ويوم الجمعة. وشهر الصوم وتشجيع التزاور والنقاش في الفوارق بين مناسبات المسلمين وغيرهم. ونبذ المناسبات الطارئة على المجتمع الإسلامي التي دخلته من أصحاب الأهواء والبدع. (للمزيد ينظر: الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى. د. محمد بن سعد الشويعر. مجلة البحوث الإسلامية ٢٠٩/١٤)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيراً.

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

تفسير الصحابة للقرآن

د. محمد عاطف التاجوري

ان الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله صلى الله [illegible]

[illegible]

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «[illegible]» (القيامة: ١٧-١٩). فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفهم القران جملة وتفصيلا، فقد تكفل الله له بالحفظ والبيان. أما الصحابة رضوان الله عنهم فقد كانوا يفهمون القران أيضا من جملته أما فهمه تفصيلا، فهذا كان غير متيسر لهم، بمجرد معرفتهم للغة القران، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يشكل عليهم فهمه.

ولذلك فقد تفاوت الصحابة في فهم القران، فلم يكونوا على درجة واحدة من فهم معاني القران، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، ومما يشهد لهذا ما نقله السيوطي في «الاتقان» عن أبي عبيدة في الفضائل من إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله: «وفاكهة [illegible]» (عبس: ٣١) فقال: أي سماء تظلني، أو أي أرض تقلني، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. وأخرج عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر «وفاكهة [illegible]» (عبس: ٣١)، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر. وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا ادري ما فاطر السماوات، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتداتها.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير: أنه سئل عن قوله: «[illegible]» (مريم: ١٣)، فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا.

واخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا والله، ما أدري ما «[illegible]».

وأخرج الفريابي: حدثنا إسرائيل، حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعا: «[illegible]» (الحاقة: ٣٦)، و«[illegible]» (مريم: ١٣)، و«[illegible]» (التوبة: ١١٤)، و«[illegible]» (الكهف: ٩).

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» (الأعراف: ٨٩). حتى سمعت قول بنت ذي يزن: تعال أفاتحك: تقول: تعال أخاصمك.

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين، ولكني أظنه الزقوم. (الإتقان في علوم القران- للسيوطي- ج١- ص ٢٢٩، ٢٣٠- النوع السادس والثلاثون: في معرفة غريبه).

وهذا يبين لنا أن الصحابة-رضوان الله عنهم جميعًا- لم يكونوا على درجة واحدة في فهم القران وتفسيره بل كانوا متفاوتين لتفاوتهم في العلم بلغتهم وكذلك درجاتهم العلمية ومواهبهم العقلية كانت متفاوتة.

ولقد قال الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسيره لجزء عم من القران الكريم تعليقا على كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كلمة الأب في قوله تعالى: « [illegible] » (عبس: ٣١). إذا سمعت هذه الروايات فلا تظن ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن تتبع معاني القران والبحث عن مشكلاته. ولكنه يريد ان يعلمك ان الذي عليك من حيث أنت مؤمن انما هو فهم جملة المعنى. فالمطلوب منك في هذه الآيات هو ان تعلم ان الله يمن عليك بنعم أسداها إليك في نفسك وتقويم حياتك وجعلها متاعا لك ولأنعامك. فإذا جاء في سردها لفظ لم تفهمه لم يكن من جد المؤمن ان ينقطع لطلب هذا المعنى بعد فهم المراد من ذكره. بل الواجب على اهل الجد والعزيمة ان يعتبروا بتعداد النعم. وان يجعلوا معظم همهم الشكر والعمل. هكذا كان شان الصحابة رضي الله عنهم. (تفسير القران الكريم- جزء عم- للشيخ محمد عبده- ص ٢١، ٢٢).

مصادر التفسير عند الصحابة رضي الله عنهم:

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله في كتابه التفسير والمفسرون:

كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقران الكريم على اربعة مصادر:

الاول: القران الكريم.

الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

الرابع: أهل الكتاب من اليهود والنصارى. (التفسير والمفسرون- للدكتور محمد حسين الذهبي- ج١ - ص ٤٢).

المصدر الأول: القران الكريم:

لقد ذكرت قبل ذلك أن القرآن الكريم قد اشتمل على العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين. فما ورد عامًا في موضع قد يخصص في موضع آخر يجاوره مطلقًا في موضع قد يقيّد في موضع ثان والمجمل منه يبين في موضع آخر لذلك فإن من يتعرض لتفسير القران لا بد له من النظر في القرآن أولا ليجمع المتكرر منه في موضوع واحد ويقابل الآيات ببعضها ليحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد. والمجمل على المبين. ويعرف الموجز الذي قد يفصل في موضع آخر... وهكذا. فهذا هو تفسير القرآن بالقران وفهم مراد الله بما جاء عن الله. فصاحب الكلام ادرى بمعاني كلامه. وقد ذكرت أمثلة من العموم والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتبيين عند الحديث على خصائص التفسير النبوي فليرجع اليه.

ومن أمثلة ذلك أيضا قصة ادم وابليس: فقد تكررت في مواضع كثيرة بعضها جاء مختصرا وبعضها مفصلا. وكذلك قصة موسى وفرعون فما جاء مختصرًا يفسره ما جاء مفصلا في مواضع اخرى. وكذلك الجمع بين ما يتوهم باختلافه كخلق ادم من تراب في بعض الايات ومن طين في بعض الايات ومن حمأ مسنون في بعض الآيات ومن صلصال كالفخار في بعض الآيات. فهذا ذكر للأطوار التي مر بها ادم من بداية خلقه الى نفخ الروح فيه.

ومن تفسير القرآن بالقران تفسير بعض القراءات بقراءات أخرى. وذلك كما جاء في تفسير ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» (الجمعة: ٩). قال: وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود يقرانها (فامضوا إلى ذكر الله). (تفسير ابن كثير- تحقيق أحمد شاكر- ج٣- ص ٤٥٧)

والسعي هو المشي السريع والمراد من اللفظ هنا هو مجرد الذهاب الى الصلاة. فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المشي السريع إلى الصلاة. كما أخرجاه في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار. ولا تسرعوا. فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا». (رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٦)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٦٠٢)).

وكذلك قوله تعالى: [illegible]

(النساء: ١٢): فقد روى الدارمي في سننه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذه الآية: (وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت لأم). (رواه الدارمي في سننه برقم (٢٩٧٥). وقال محققه- صحيح موقوف- أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره برقم (٨٧٧٥) من طريق سفيان... به. والبيهقي في السنن الكبرى (٢٢٣/٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١٢٦/٢)).

فهذه قراءة صحيحة من القراءات الشاذة موقوفة على سعد بن أبي وقاص- الصحابي الجليل رضي الله عنه- تفسير القراءة الأخرى التي لا تعرض فيها لنوع الإخوة إذا كانوا لأم أو لأب أو أشقاء.

وكذلك قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ» (البقرة:١٩٨).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما. انه قال: «كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية. فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت: «ليس عليكم جناحَ أن تبتغوا فضلا مٌن ربكم» في مواسم الحج». (البخاري في صحيحه. حديث رقم (١٧٧٠) ورواه مكررًا في أرقام (٢٠٥٠. ٢٠٩٨ ٤٥١٩)).

وقال ابن حجر في الشرح: قوله «في مواسم الحج» قال الكرماني: هو كلام الراوي ذكره تفسيرا. انتهى. وفاته ما زاده المصنف في اخر حديث ابن عيينة في البيوع. (قراها ابن عباس). ورواه ابن عمر في مسنده عن ابن عيينة وقال في اخره: «وكذلك كان ابن عباس يقرأها».

وروى الطبري باسناد صحيح عن أيوب عن عكرمة انه كان يقراها كذلك. فهي على هذا من القراءة الشاذة. وحكمها عند الأئمة حكم التفسير. (فتح الباري. لابن حجر- كتاب الحج- ج٣- ص٦٩٦).

والحديث الذي اشار إليه ابن حجر في شرحه هو ما رواه البخاري في كتاب البيوع عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية. فلما كان الإسلام فكانهم تأثموا فيه. فنزلت: «ليس عليكُمْ جُناحُ أن تبتغوا فضلا مٌن رٌبّكمُ» في مواسم الحج. قراها ابن عباس». (البخاري في صحيحه برقم (٢٠٥٠)).

وقال ابن حجر في شرحه: وقراءة ابن عباس (في مواسم الحج) معدودة من الشاذ الذي صح إسناده وهو حجة وليس بقران. (فتح الباري لابن حجر- كتاب البيوع- ج٤- ص ٣٤٠).

فهذه قراءات شاذة لا يعتد بها في تلاوة القرآن ولكنها صحيحة الى من قالها من الصحابة فيستفاد بها في تفسير القرآن.

ومن القراءات المتواترة للقرآن ما يفسر بعضه بعضًا كذلك. ونضرب لذلك مثلاً قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» (الحجرات: ٦). ففي قراءة حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) بالثاء المثلثة بعد التاء المثناة. وبعد المثناة باء موحدة. وبعد الموحدة تاء مثناة من التثبت. وقرأ الباقون (فتبينوا) بالباء الموحدة بعد المثناة وبعد الموحدة ياء تحتية بعدها نون. (الشامل في قراءات الأئمة العشر- أ.د/أحمد عيسى المعصراوي- ص ٥١٦).

والمقصود من لفظ (فتبينوا) هو التثبت كما قال ابن كثير في تفسيره:

يامر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له. لئلا يحكم بقوله فيكون- في نفس الأمر- كاذبا. او مخطئا. فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه. وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين. (تفسير ابن كثير- تحقيق أحمد شاكر- ج٣- ص ٣١٤)

هذه امثلة لتفسير القران بالقران. وهو ما كان يرجع إليه الصحابة اولا لتعرف بعض معاني القران. من قبل العام على الخاص والمطلق على المقيد والمجمل على المبين واحدى القراءتين على الأخرى. وهو ليس بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وانما لا يخوض في ذلك إلا أهل العلم والنظر. ونكتفي بهذا القدر. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وعلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

دور القيم والأخلاق في بناء الحضارة

[illegible]

[illegible]

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، أيها المسلمون: قيامُ الحضارات وازدهارُها، وسقوطها وانهيارُها، يرجع إلى ما تحمله من قيم ومبادئ، ونظرة إلى الحياة، كما يرجع بقاؤها وقوتها إلى معاييرها في ضبط سلوك الإنسان وتربيته، ولا تحرص أمةٌ من الأمم على شيءٍ منْ مفاخرها وآدابِها مثل حرصها على قيمها الحضارية، التي تشكل حياتها، وملاك أمرها، وعلوّ شأنها.

معاشر الإخوة: الأخلاقُ هي أساسُ بناء الأمم، وبرسوخها يتحقَّق الأمنُ والسلامة من الهلاك والفناء، بل لا يمكنُ العيش ولا التعايش-بإذن الله- بغير القيم العالية، والأخلاق السامية: ([illegible]) (الأعراف: ٥٨).

ولقد قيل: كل صفة في القلب يظهر أثرها على الجوارح، ومتى ما كان الخلق حميداً أثمر سلوكا رشيداً، وصلاحُ أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه.

وأيُّ مجتمع لا يرتبطُ بروابط مكارم الأخلاق فإنه لا ينعمُ بالسلم والوئام والانسجام، بل يظهر فيه التفكك والتصارعُ، ثم الفناءُ والتلاشي.

أيها المسلمون: الحضارة لا تقاس بآثارها المادية، ولا بالترف الماديِّ، بل بآثارها في حفظ الإنسان وصيانة كرامته، الماديات، والمخترعات، والمكتشفات لا تكفي لسلامة البشرية، ونشر الطمانينة والسلام.

معاشر المسلمين: والقواعد الأخلاقيَّة لا تنفك عن المبادئ الدينية، ولا عن المقاصد الإيمانية، ولا تنفصم عن التعاليم الشرعية، يقول الشاطبي- رحمه الله-: "والشريعة انما هي تخلقٌ بمكارم الأخلاق، الشريعة تنظيم احكام، وتهذيبُ أخلاق، ثم قال: وهذا هو الذي يمنعُ منّ سوء الحال، واختلال النظام".

معاشر الإخوة: وجماعُ الخلق هو التدينُ، فمنْ زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، فلا دين بغير أخلاق، ولا أخلاق بغير دين.

والأخلاقَ الصحيحة، والقيمَ المستقيمةُ لا تتغيَّر

بتغيُّر الأشخاص، ولا بتبدُّل الأحوال، ولا بتقلب الأزمنة، ولا تعدُّد الأمكنة؛ فهي تكونُ مع العدوِّ والصديق، ومع القريب والبعيد، ومع القوي والضعيف، ومع المنتصر والمهزوم، ومع البرِّ والفاجر؛ وفي التنزيل العزيز: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣)؛ وفي الحديث الصحيح يقول-عليه الصلاة والسلام-: "وخالق الناس بخلق حسن"(رواه الترمذي بسند صحيح، من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل-رضي الله عنهما-).

ومن الانهيار العظيم أنْ تتَّبع الأخلاقُ المصالح، فهذا زورٌ وانحراف، وهي حينئذ سياسات مصالح لا سياسات مبادئ.

معاشر الإخوة: ومنْ هنا فإنَّ ما تعانيه البشرية اليوم في كثير منْ ديارها منْ خوف وقلق، وما يبرُز منْ تغيُّرات المناخ، ومن حرائق في الغابات، وجفاف في بعض الأنهار، وما يتجلى من تمييز في المعايير، وتمييز في النظر بين الشعوب، ومعالجة الأزمات العالمية، وما يحصُل منْ تقتيلٍ، وإجلاءٍ عنِ الديار، وتهجير عن الأوطان كله بسبب التنكر للقيم، والجرأة على معالم الدين الحق، وغلبة الأثرة والأنانية، والإغراق في الشهوات، والتفكك الأسريّ، والتحرُّر الجنسيّ. وفي التنزيل العزيز: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الرُّوم: ٤١).

لقد برز الإلحادُ والانحراف في الحرية الفردية، والتحرُّر العقليّ والفكريّ، والتمرُّد على الأسرة وتماسُكها، حتّى وصلوا-والعياذ بالله- إلى ما يُسمّى بالمثلية: وهو الشذوذ والفاحشة التي لم يسبق إليها أحدٌ من العالمين: (أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (الأعراف: ٨٢).

أيها الأحبة في الله: لقد خسرُوا وهم يعيشون على وُعود في تحقيق السلام، وإنهاء الحروب، ونشر العدالة والمساواة، وبسْط الأمن، واحترام حقوق الإنسان على ظنٍّ منهم أنّ التقدم المادي كفيل بملء الفراغ الروحيّ، ونشر القيم الصحيحة، والأخلاق المستقيمة، لقد غرقوا في أوحال الرغبات الجنسية، والشهوات المادية، والتحلل من الضوابط الأخلاقية؛ حين تضعُف القيمُ يخترع الإنسانُ آلات الفساد، ووسائل الغواية، وكلَّ ما يؤدّي إلى التدمير والهلاك.

إنَّ ما أنعم الله به من التقدُّم العلميّ الهائل، وما تحقق للإنسانية منْ إنجازات في ميادين العلم أمرٌ لا يُنكر، ويستحقُّ الشكرَ، ومعرفة حقِّ الله فيه، في الصناعة، والطبِّ، والتعليم، والثقافة، والاتصالات، والتقنيات، وعلوم الفضاء، وغيرها، ولكنَّ المصيبة في إهمال القيم والأخلاق، وعدم العناية الصحيحة، بالنَّفس والرُّوح، والقلب، والعمل الصالح.

أيها المسلمون: القيمُ هي التي تربط الحضارة بالثقافة، وتربط العلم بالسلوك؛ فالقيمُ الحضارية هي الروحُ، وهي النورُ الذي يمُدُّ البشر بالحياة الحقيقة.

أيها المسلمون: تأمّلوا ما جاء في رسالة نبيّنا محمد-صلى الله عليه وسلم- فهي الحياة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال: ٢٤)، بل هي الروحُ، يقول عزَّ شأنه: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) (الشورى: ٥٢)، وهي النورُ يقول-جل وعلا-: (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٥-١٦).

معاشر الأحبة: ومقامُ القيم في السيرة النبوية المصطفوية يتجلى في قول أمِّ المؤمنين خديجة-رضي الله عنها-، وهي تصف النبيَّ-صلى الله عليه وسلم- عند نزول الوحي أول ما تنزَّل: فقالت: "كلا والله، لا يخزيك الله أبداً؛ إنَّك لتصل الرحم، وتحملُ الكلَّ، وتكسبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقِّ"، ثم لما نزل الوحيُ وتتابع تجلى لنا قول أمِّ المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- في وصف محمد-صلى الله عليه وسلم-: "كان خلقه القرآن".

معاشر الإخوة: إنَّه لا سبيل لإصلاح الناس، بل إصلاح البشرية إلا بالالتزام بتعاليم الدين، ومنهجه الأخلاقيّ، وأخذ الناس بفضائله وتوجيهاته، الدينُ الحقُّ بتعاليمه وقيمه هو الذي أنشأ الأمة، وأنشأ لها حضارة لم تتحقق لغيرها، ولم تصمُد صمودها على

مدى خمسة عشر قرنًا في قيمها الإنسانية، وهي: قيمُ العدل، والرحمة، والمساواة، والتسامح، والوسطية، والتعايش في قيم كبرى لا تحصى ولا تحصر، وحضارة الإسلام هي كل ما تضمنه من عقيدة، وأخلاق، وتشريع، وسلوك.

الدينَ لا يفصل بينَ الشعائر وأدائها، وبين الأخلاق وآثارها: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣)، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦)، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: ٢٨).

معاشر المسلمين: وإن شئتم مزيدًا من البيان لمقام الأخلاق في ديننا فانظروا وتأملوا قيم الإسلام في أشد المواقف وأحلكها: إنها حالات الحرب وحال قيام المعارك، واشتداد الوطيس ليقول قائد المسلمين مخاطبًا جيشه: "لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تقطعوا نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما فرغوا أنفسهم له"، نعم أيها المسلمون: الحرب في الإسلام هي من أجل السلام، وبسط الأمن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨)، ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١).

وامتدح النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- حلف الفضول وقال: "ما أحبُّ أنَّ لي به حُمر النَّعم، ولو دُعيت لمثله في الإسلام لأجبتُ"؛ لأنه حلف إيجابيٌّ، حلفٌ يكرِّس قيم السِّلم، وفي وثيقة المدينة النبوية المنوَّرة بيانٌ لهذا المنهج الواضح، وترسيخٌ لهذه القيم العظيمة: فقد جعلت هذه الوثيقة كل مكونات مجتمع المدينة يدًا واحدة على مَنْ يُريد النَّيل من أهلها، ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (الحشر: ٩).

وبعد -حفظكم الله- إنَّ هذه القيم العظيمة، لو أخذ بها العالم اليوم كفيلة بإقامة جسور الحوار المتكافئ بقصد التفاهم، ومد جسور التسامح، والتعايش، والعدل، والخير.

معاشر الإخوة: قيمُ الإسلام وحضارتُه قامتْ على الدين والتوحيد الخالص، والجهاد لإعلاء كلمة الله، والاعتزاز بالعقيدة، وهي مع كل هذا الوضوح والجلاء أشد ما عرف التاريخ تساميًا، وعدالة، ورحمة، وإنسانية.

حضارة الإسلام إنسانية النزعة، عالمية الأفق، يقول عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

أيها المسلمون: قيمُ الحضارة وأخلاق الإسلام عاشها المسلمون منذ عهد النبوة، ثم عهد الخلافة الراشدة، ثم عهود الدول الإسلامية المتعاقبة، في كل تاريخ الإسلام، بل وفي عهد الاستعمار، والحاضر المعاصر: فهي قيم ثابتة، وأخلاق الإسلام في المسلمين راسخة، لا تتأثر بعوامل الزمن، وتقلبات السياسة، وتغيرات الاجتماع والاقتصاد وغيرها، بخلاف ما يُشاهد في كثير من الحضارات التي غالبًا ما تكون مرتبطة بحال الناس والزمان؛ من أمن ورخاء، وفقر وغنى، فإذا ما تغير الحال انقلبت الموازين واضطربت المعايير، فأكل قويهم ضعيفهم، وسطا غنيهم على فقيرهم، واستبد ظالمهم بحقوقهم، بل إن المسلمين في فتوحاتهم وحضارتهم لم يُخربوا الديار التي دخلوها، ولم يهدموا العامر فيها، ولم يقتلوا أو يُقاتلوا مَنْ لم يقاتلهم، ويرفع السلاح عليهم، أمّا حضارات غيرهم فإذا دخلوا الديار هدموها، وشردوا أهلها، وخربوا عامرها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة؛ وما ذلكم إلا لأن قيم الإسلام وحضارته وأخلاقه متصلة بالعقيدة وبأحكام الشريعة، وبمعايير أخلاقه.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله-، وتأملوا كلام أهل العلم في قوله-سبحانه-: (وما كان ربك ليُهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) (هود: ١١٧): قال بعض المفسرين: "أي: لم يكن ليهلكوا بالكفر وحده حتى ينضم إليه الفساد، فقد أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وأهلك قوم لوط بالفاحشة. قال أهل العلم: فدل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أعظم".

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيكم محمد رسول الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513